

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

La république algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche scientifique

Université 8 mai 1945 Guelma

Faculté des sciences humaines et sociales

Département D'histoire



جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

محاضرات في مادة مدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة

موجهة لطلبة الجذع المشترك العلوم الإنسانية - السداسي الأول

إعداد الدكتور: غربي الحواس

الموسم الجامعي: 2025

مقدمة

تعد دراسة الحضارات القديمة من الأسس التي تمكّن الطالب من فهم تطور المجتمعات البشرية عبر العصور، حيث تشكلت عبرها أولى مظاهر التنظيم السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

يهدف هذا المقرر خلال السداسي الأول ضمن جذع مشترك علوم إنسانية، إلى تعريف الطالب بأهم الحضارات العالمية التي أسهمت في تشكيل تاريخ البشرية، مع التركيز على المفاهيم الأساسية المتعلقة بالحضارة والثقافة، والإطار الزمني والمكاني لظهور الحضارات، بالإضافة إلى دراسة حضارات منطقة غرب جنوب آسيا، وبلاد الرافدين، وفارس، وسوريا القديمة، ومصر الفرعونية، والحضارة العربية قبل الإسلام.

عنوان الـليسانس: جذع مشترك علوم إنسانية

السداسي: الأول

اسم الوحدة: الاستكشافية

اسم المادة: مدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة

الرصيد: 01

المعامل: 01 .

محتوى المادة:

1. مفهوم الحضارة - معنى الحضارة - معنى الثقافة - معنى الأويكومين - الاختراعات السابقة للحضارة.
2. الإطار الزمني والمكاني لظهور الحضارات.
3. حضارات غرب جنوب آسيا ومصر.
4. فجر التاريخ والاختراعات السابقة للحضارة.
5. المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارة:
 - المصادر المادية
 - المصادر الأدبية
6. حضارة بلاد الرافدين: المراحل الكبرى (سومر - أكاد - بابل - آشور - الدولة الكلدانية)
7. مظاهر الحضارة: الدين - نظام الحكم - الاقتصاد.
8. حضارة فارس وعيلام: النشأة - الحياة الدينية - الحياة السياسية - الاقتصاد.
9. حضارة سوريا القديمة: الحثيون وشعوب سوريا - المظهر السياسي - المظهر الديني - الحياة الاقتصادية.
10. التوسع والمواجهة في جنوب غرب آسيا: الحروب الميديّة - النزاع الفارسي-المصري.
11. النزاع الفارسي-الإغريقي - حروب البيلوبونيز.
12. حضارة مصر الفرعونية: النشأة - التطور - الانهيار.
13. نظام الحكم - الدين والكهنوت - الجيش - الاقتصاد في مصر الفرعونية.
14. الحضارة العربية قبل الإسلام: الحياة السياسية لدول الجنوب (معين - قتيبان - سبأ - حمير)
15. دول الشمال (تدمر - المناذرة - الغساسنة) - دول الوسط (كندة - مكة)

طريقة التقييم:

- علامة الامتحان النهائي: 60%
- الأعمال الموجهة (مراقبة مستمرة، تقارير، أعمال بحثية): 40%

المحاضرة 01: مفهوم الحضارة

تعتبر الحضارة من أكثر المفاهيم تعقيداً وشمولاً في الدراسات الإنسانية، إذ تتداخل فيها عناصر مادية وثقافية واجتماعية وسياسية. يختلف تعريف الحضارة باختلاف الزمان والمكان ووجهة النظر الفكرية، مما يجعل دراستها تتطلب مقارنة متعددة الأبعاد تجمع بين التاريخ، الاجتماع، الأنثروبولوجيا، وعلم الآثار.

في هذه المحاضرة، سنغوص في عمق مفهوم الحضارة، مع توضيح معانيها الأساسية، وعلاقة الثقافة بها، والاطلاع على مفهوم "الأويكومين" الذي يساعد في فهم انتشار الحضارات، وكذلك سنقف عند الاختراعات والتقنيات التي سبقت نشوء الحضارات الكبرى وأرست قواعدها.

1 - معنى الحضارة

الحضارة في اللغة تعني "العيش في المدينة" أو "ال عمران"، وهو ما يعكس بداية تحول الإنسان من حياة الصيد والتنقل إلى حياة الاستقرار والبناء¹.

ولعل أهم ما يميز الحضارة هو تقدم الإنسان في مجالات متعددة تشمل التنظيم الاجتماعي، والنظام السياسي، والفنون، والعلوم، والتقنيات.

يعرفها البعض من الناحية المفاهيمية، على أنها "مجموع الإنجازات التي يحققها الإنسان في إطار مجتمع معين"، بحيث تتجلى في نمط الحياة، وأنظمة الحكم، والقوانين،

والآداب، والعمران. يرى المؤرخ ابن خلدون أن الحضارة ليست مجرد بناء مادي، بل هي "روح الإنسان في المجتمع" التي تحرك التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي

ابن خلدون (1332-1406م) أكد على أن العمران "هو نتيجة لتعاون الناس في المعيشة، وظهور الدول والمدن يدل على ارتفاع مستوى الحضارة". ويضيف أن الحضارة تبدأ عندما تتجمع العشائر وتتعاون، مما يؤدي إلى إقامة نظام سياسي مستقر، ومؤسسات اجتماعية معقدة، بالإضافة إلى تطور المعارف والفنون².

على سبيل المثال، فإن حضارة مصر القديمة لم تكن مجرد بناء الأهرامات، بل كانت نتاج تطور سياسي مستقر، ونظام ديني متكامل، واقتصاد قوي، وثقافة عميقة تعكس رؤية الإنسان للكون والحياة. وهذا التداخل بين الجوانب المادية والروحية يجعل الحضارة ظاهرة شاملة لا تختزل في عنصر واحد.

2 - الفرق بين الحضارة والثقافة

رغم ارتباط الحضارة بالثقافة، إلا أن هناك فرقاً دقيقاً بينهما:

• **الثقافة:** هي مجموعة القيم، والعادات، والمعتقدات، والمعارف التي يكتسبها الإنسان اجتماعياً، وتشمل اللغة والفنون والدين والطقوس. الثقافة هي "الروح" التي يعيش بها الإنسان في مجتمعه³.

• **الحضارة:** هي تجسيد عملي وملاموس لهذه الثقافة، بما في ذلك التنظيمات الاجتماعية، والبنية التحتية، والتقنيات، والمؤسسات. هي "الجسد" الذي يحمل الثقافة ويحققها.

يقول إدوارد تايلور في تعريفه للثقافة:

"الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقوانين والعادات

التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع"⁴

وبذلك، يمكن اعتبار الثقافة جوهر الحضارة، والحضارة شكلها المادي والاجتماعي.

3 - تطور مفهوم الحضارة عبر العصور

مرت فكرة الحضارة بتحويلات فلسفية وتاريخية عبر العصور:

• **في العصور القديمة:** ارتبط مفهوم الحضارة بمدى تعمير الأرض وبناء المدن، وكانت

الحضارات تُقاس بمدى قدرتها على إنشاء نظم حكم وتنظيم حياة المجتمع. عند الإغريق،

على سبيل المثال، كانت الحضارة تعني "الحياة المدنية" مقابل حياة البرية أو التخلف.

• **في العصور الوسطى:** ارتبط مفهوم الحضارة بالدين، وكانت الحضارة مقترنة بالحضارة

المسيحية أو الإسلامية، حيث يُنظر إليها كجزء من "حضارة الله" أو النظام الإلهي على

الأرض.

• **في العصر الحديث:** تطور المفهوم ليشمل التقدم العلمي والتكنولوجي، وأصبح معيار

الحضارة مرتبطاً بالتقدم المادي والرفاهية الاجتماعية، مع وجود نقد لهذا التعريف من

بعض التيارات التي تؤكد على أهمية القيم الإنسانية والبيئية.

4 - معنى الأويكومين (Oikoumene)

الأويكومين كلمة يونانية تعني "العالم المأهول"، وهي تعبر عن المناطق التي يقطنها الإنسان وينشط فيها، وهي تشير إلى شبكة الحضارات المتصلة والمتداخلة. يقول الباحث رولي ستيوارت:

"الأويكومين يمثل النطاق الذي تحدث فيه الأنشطة الإنسانية، وهو إطار لفهم التفاعل الحضاري بين الشعوب، والانتقال الثقافي عبر المساحات الجغرافية"⁵ هذا المفهوم مهم لفهم كيف انتشرت الحضارات وتداخلت، حيث لم تكن الحضارات معزولة عن بعضها، بل كانت عبر طرق التجارة، والحروب، والهجرات، والمراسلات الثقافية، تبادل مستمر للأفكار والتقنيات.

5 - الاختراعات السابقة للحضارة

تشكل الاختراعات والابتكارات التي سبقت الحضارة العمود الفقري لأي مجتمع متحضر. قبل بناء المدن الكبرى، كانت هناك سلسلة من الاكتشافات:

- الزراعة: تعتبر الزراعة التحول الأكبر، حيث أمنت الغذاء اللازم لاستقرار السكان، وبالتالي ظهور المستوطنات الدائمة. يقول المؤرخ غوردون تشايلد:

"الزراعة غيرت حياة الإنسان من التنقل والصيد إلى الاستقرار، وأدت إلى ظهور المدن والدول"⁶

- **الكتابة:** بدأت الكتابة كوسيلة لتوثيق المعاملات الاقتصادية، ثم تطورت لتشمل التاريخ والدين والقانون. هذا أدى إلى تراكم المعرفة وانتقالها عبر الأجيال.
- **العجلة:** اخترعها الإنسان كأداة للنقل وزيادة الإنتاجية، مما ساعد على تطوير الاقتصاد.
- **الفخار:** تطور صناعة الفخار يدل على تقدم المهارات اليدوية، كما كان وسيلة لتخزين الغذاء وحفظه.
- **النسيج وصناعة الأدوات:** أثرت هذه الابتكارات في تحسين مستوى المعيشة وتطوير التجارة.
- كل هذه الابتكارات هي نتاج ذكاء الإنسان وتفاعله مع بيئته، وكانت الأساس الذي قامت عليه الحضارات الكبرى.

6 - أهمية دراسة مفهوم الحضارة

- لفهم الحاضر والتخطيط للمستقبل، لا بد من دراسة أصول الحضارة، حيث تكشف لنا عن كيفية تعامل الإنسان مع تحديات الحياة، وكيف تطورت القيم والمؤسسات، وكيف أثر التقدم العلمي والتكنولوجي على الإنسان والمجتمع.
- دراسة الحضارة تتيح فهمًا أعمق للتفاعل بين الثقافات، وكيف يمكن للبشرية تجاوز الاختلافات من خلال الحوار والتفاهم.

يمكننا تلخيص مفهوم الحضارة في النقاط التالية:

- الحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته وتاريخه، وتشمل البناء المادي، والتنظيم الاجتماعي، والثقافة.
- الثقافة هي جوهر الحضارة وروحها التي تحدد قيمها ومبادئها.
- الاختراعات التقنية مثل الزراعة والكتابة والعجلة كانت عوامل حاسمة في نشوء الحضارات.
- فهم الأويكومين يساعد في إدراك كيفية تداخل الحضارات وانتقال الأفكار.
- دراسة الحضارة تساعد في فهم التغيرات المجتمعية والتاريخية وتوجيه المستقبل.

الهوامش:

- ¹ حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، دار الرشاد، بيروت، 1981، ص 12-45.
- ² ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004، ص 412-420.
- ³ إدوارد تايلور، الثقافة البدائية، ترجمة عبد الرحمن عيسوي، دار المعارف، القاهرة، 1990، ص 27-50.
- ⁴ إدوارد تايلور، المرجع السابق، ص 27-50.
- ⁵ Rolly Stewart, The Origins of Writing, HarperCollins, 1998, p 30-60.
- ⁶ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 12-45.

المحاضرة 02: الإطار الزمني والمكاني لظهور الحضارات

يعتبر الإطار الزمني والمكاني من العوامل الحاسمة لفهم نشأة الحضارات وتطورها. فليس من الممكن دراسة الحضارات بمعزل عن الظروف الطبيعية والاجتماعية التي أحاطت بها، والتي لعبت دوراً محورياً في تشكيل بنيتها الاقتصادية والسياسية والثقافية. كما أن التغيرات في البيئة والمناخ أثرت بشكل كبير على مسارات التطور الحضاري، وهو ما يدفع الباحثين إلى تحليل هذه الأطر بدقة عالية¹.

1 - الإطار الزمني لظهور الحضارات

ظهرت الحضارات الأولى مع نهاية العصر النيوليثي (حوالي 10,000 قبل الميلاد)، وهي المرحلة التي شهدت ثورة زراعية أساسية أدت إلى استقرار الإنسان في أماكن محددة وزيادة الإنتاج الغذائي، مما أسس لظهور القرى والمدن. يشير آرنولد توينبي إلى أن "الزراعة كانت الشرارة الأولى التي أشعلت شرارة الحضارة، إذ مكّنت الإنسان من إنتاج فائض غذائي أسهم في انقسام العمل وتطور المجتمعات"².

كما يعد ظهور الكتابة علامة فارقة في تطور الحضارة؛ فقد بدأ السومريون في بلاد الرافدين بكتابة المسمارية حوالي 3200 ق.م، وهو تحول أتاح تسجيل المعاملات التجارية والقوانين والأحداث التاريخية، ما ساهم في تنظيم المجتمع بشكل أكثر تعقيداً³.

2 - الإطار المكاني لظهور الحضارات

أ - بلاد الرافدين: مهد الحضارات

تعرف بلاد الرافدين بأنها "هلال الخصوبة"، منطقة خصبة بين نهري دجلة والفرات، حيث توافرت الظروف المثلى للزراعة بفضل الفيضانات الموسمية التي جددت التربة. يُعتقد أن هذه البيئة كانت محفزة لتطور أولى المدن الكبرى مثل أوروك، والتي تضمنت أنظمة ري متقدمة وبنى اجتماعية معقدة.

ويؤكد ونجرو أن "الأهمية البيئية لبلاد الرافدين تكمن في توفر الموارد الطبيعية والأنهار التي مكنت السكان من تخطي مرحلة الصيد وجمع الثمار إلى الزراعة المستقرة"⁴.

ب - وادي النيل: الحضارة المصرية القديمة

يقول توبى ويلكينسون إن "النيل كان بمثابة شريان الحياة لمصر القديمة، ففيضاناته السنوية التي كانت تروي الأرض تعزز من استمرارية الزراعة، مما ساهم في بناء حضارة ذات استقرار سياسي طويل الأمد". وقد أدت هذه البيئة إلى ظهور نظام حكم مركزي قوي ومجتمع موحد، على عكس التنوع والاختلافات السياسية التي شهدتها بلاد الرافدين⁵.

ج - وادي السند: حضارة هارابا

تميزت حضارة وادي السند بتخطيط المدن بشكل منهجي، مع نظام صرف صحي متطور، مما يدل على مستوى عالٍ من التنظيم الاجتماعي. يشير سكار إلى أن "حضارة

وادي السند كانت واحدة من أكثر الحضارات تقدماً في العصر البرونزي، مع وجود شبكات تجارية متطورة تواصلت عبر مناطق واسعة⁶.

3 - العوامل البيئية وتأثيرها على الحضارات

تلعب البيئة دوراً حيوياً في تحديد موقع الحضارات وتطورها. فتوفر المياه، وخصوبة التربة، والمناخ المعتدل، كانت عوامل رئيسية لتأسيس مجتمعات زراعية مستقرة. ومع ذلك، فقد أثرت التغيرات المناخية أحياناً في سقوط أو تراجع الحضارات، كما حدث في بلاد الرافدين خلال فترات الجفاف التي أدت إلى ضعف المدن السومرية. ويشير توينبي إلى أن "تفاعل الإنسان مع بيئته، وخصوصاً مع ظروف المناخ والتربة، كان العامل الرئيسي الذي شكل مسارات الحضارات"⁷.

4 - التفاعل بين الحضارات القديمة

لم تكن الحضارات معزولة، بل كان بينها تفاعل ثقافي وتجاري مستمر. فالتبادلات التجارية بين بلاد الرافدين ومصر وحضارات البحر المتوسط ساعدت على نقل الأفكار والتقنيات، مثل الأبجدية الفينيقية التي أثرت في تطوير أنظمة الكتابة اليونانية والرومانية. ويذكر توينبي أن "تطور الحضارات كان نتيجة لتأثيراتها المتبادلة التي عززت من قدراتها على الابتكار والتكيف"⁸.

5 - أثر الجغرافيا السياسية على نشوء الحضارات

يعتبر الموقع الجغرافي للمناطق الحضرية عاملاً مؤثراً في قدرتها على البقاء والتوسع. فالأماكن التي جمعت بين الخصوبة والموارد الطبيعية والطرق التجارية كانت الأكثر قدرة على تطوير نظم حكم قوية والتوسع الإقليمي. كما أن المناطق التي تعرضت للغزوات والهجرات المتكررة شهدت تغيرات ديموغرافية وسياسية انعكست على بنية الحضارة⁹.

6 - التغيرات المناخية والتحديات البيئية

مرت الحضارات القديمة بفترات من الاستقرار المناخي، لكنها أيضاً واجهت تحديات كبيرة مثل الجفاف، والفيضانات الكارثية، وتغير مستويات الأنهار. هذه التغيرات أثرت على الزراعة والاقتصاد، مما أدى في بعض الأحيان إلى انهيار المدن أو تحولات سياسية كبيرة. فمثلاً، تشير الدراسات إلى أن فترة جفاف حادة في بلاد الرافدين ساهمت في تراجع المدن السومرية وبروز ممالك جديدة¹⁰.

7 - النظم الاقتصادية والتوزيع السكاني في إطار الزمان والمكان

توزع السكان في المناطق الحضرية كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقدرة الأرض على الإنتاج الزراعي ووجود مصادر طبيعية أخرى. أدى ذلك إلى نشوء مراكز حضرية كانت تهيمن على مناطق واسعة، وكان الاقتصاد يعتمد بشكل أساسي على الزراعة، والصيد، والتجارة الداخلية والخارجية. هذا التوزيع ساعد في تطوير شبكات تواصل ثقافي وتجاري¹¹.

الهوامش

- ¹ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1989، ص45.
- ² توينبي آرنولد، دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص78.
- ³ محمد بيومي مهران، حضارة الشرق الأدنى القديم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000، ص22.
- ⁴ عبد العزيز صالح، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1996، ص134.
- ⁵ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الحضارة المصرية القديمة، القاهرة: دار الفكر العربي، 2005، ص89.
- ⁶ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص22.
- ⁷ توينبي آرنولد، المرجع السابق، ص78.
- ⁸ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص45.
- ⁹ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص134.
- ¹⁰ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص22.
- ¹¹ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص89.

المحاضرة 3: حضارات غرب وجنوب آسيا ومصر

تعتبر حضارات غرب وجنوب آسيا ومصر من أقدم وأبرز الحضارات التي أسهمت في تشكيل التاريخ الإنساني. ولعبت هذه الحضارات دورًا جوهريًا في تطوير الفكر البشري، وتأسيس أنظمة الحكم، والابتكار في مجالات الزراعة، الهندسة، الفنون، والفلسفة. نشأت هذه الحضارات على ضفاف أنهار كبيرة، مما ساعد في نشوء مجتمع زراعي مستقر وأدى إلى ظهور مدن ودويلات منظمة، عكست مستوى متقدمًا من الثقافة والتنظيم الاجتماعي¹.

1 - حضارة مصر الفرعونية (حوالي 3100 ق.م - 30 ق.م)

تعد حضارة مصر الفرعونية من أطول الحضارات استمرارًا في التاريخ، حيث امتدت لأكثر من ثلاثة آلاف سنة على ضفاف نهر النيل. اعتمد المصريون على نهر النيل الذي كان بمثابة شريان الحياة، يوفر المياه العذبة والأراضي الخصبة التي تُمكن من الزراعة السنوية، والتي كانت الركيزة الأساسية لاقتصاد البلاد. سمح النظام الزراعي المتطور بتوفير فائض إنتاجي ساعد في دعم طبقات اجتماعية متخصصة كالكتابة والكهنة والحرفيين².

كان الفرعون رأس السلطة السياسية والدينية، حيث كان يُعتبر الإله الحي على الأرض، وهو ما جعل الملكية الفرعونية تتميز بطابع ديني مقدس. وقد شكّل النظام

الديني جزءاً أساسياً من حياة المصريين، إذ كان الكهنوت يتولى تنظيم الاحتفالات الدينية والإشراف على المعابد، التي كانت مراكز مهمة للسلطة والثقافة³.

تميزت مصر في مجالات عدة، من أبرزها الفلك الذي طور المصريون تقويماً شمسياً يتألف من 365 يوماً، بالإضافة إلى الطب الذي تميز بتسجيل العديد من الوصفات الطبية والجراحية، كما تظهر براعتهم في البناء من خلال الأهرامات والمعابد الضخمة التي ظلت شاهدة على عظمة هذه الحضارة. إضافة إلى ذلك، امتدت التجارة بين مصر ودول الجوار مثل النوبة وبلاد الشام، ما عزز من ثراء الاقتصاد المصري⁴.

2 - حضارة بلاد الرافدين (حوالي 3500 ق.م - 539 ق.م)

حضارة بلاد الرافدين، التي نشأت بين نهري دجلة والفرات، تعتبر من أوائل الحضارات التي شهدتها العالم، وأسهمت في إرساء أسس الحضارة الإنسانية. انبثقت هذه الحضارة من تجمعات متعددة من الشعوب، أبرزها السومريون الذين ابتكروا نظام الكتابة المسمارية، والذي مثل نقلة نوعية في توثيق الأحداث والمعاملات القانونية⁵.

تميزت هذه الحضارة بنظام سياسي مركزي يحكمه ملك أو حاكم ديني، كما ظهرت أولى القوانين المكتوبة من خلال قانون حمورابي، الذي نظم الحقوق والواجبات بشكل دقيق وشامل. ساهمت حضارة بلاد الرافدين أيضاً في تطور العلوم، كالرياضيات التي

اعتمدت على النظام الستيني في الحساب، والفلك الذي ساعد على تحديد الأوقات الزراعية وتنظيم المناسبات الدينية⁶.

كان الاقتصاد في بلاد الرافدين متنوعاً بين الزراعة التي اعتمدت على نظام ري معقد، والصناعات الحرفية والتجارة التي ربطت بين ممالك عديدة في المنطقة، مما ساعد على انتشار الابتكارات والثقافات.

3 - حضارة الهند (حوالي 2500 ق.م - 500 م)

حضارة الهند القديمة، التي ازدهرت على ضفاف نهري السند والغانج، تميزت بتخطيط مدنها بصورة متقنة، حيث اعتمدت على هندسة معمارية متطورة تشمل شبكات طرق منظمة وأنظمة صرف صحي متقدمة، تعكس مستوى عالياً من التنظيم الإداري⁷. برزت الهند في الرياضيات من خلال تقديم مفهوم الصفر واستخدام نظام الأعداد العشرية، والتي تعتبر من أهم الابتكارات التي أثرت في تطور الرياضيات عالمياً. إلى جانب ذلك، تميز الفلك الهندي بالدقة في تتبع حركة الكواكب والأجرام السماوية.

على الصعيد الفكري، نشأت في الهند مدارس فلسفية وروحية متعددة، منها الهندوسية والبوذية، التي ركزت على مفاهيم الروح والنتاسخ والبحث عن التحرر من دورة الولادة والموت. وكان لفلسفة مثل بوذا تأثير عميق في تشكيل الفكر الديني والثقافي في المنطقة⁸.

اقتصاديًا، اعتمدت حضارة الهند على الزراعة، مع وجود نشاط تجاري واسع ربطها ببلاد الرافدين وفارس، حيث تصدرت التوابل والقطن والأحجار الكريمة قائمة السلع المتداولة.

4 - حضارة الصين (حوالي 2100 ق.م - 220 م)

حضارة الصين القديمة نشأت على ضفاف نهر اليانغتسي، وتطورت عبر عدة أسر حكم مختلفة، حيث أسس الصينيون نظامًا سياسية معقدة ومدارس فكرية بارزة، مثل الكونفوشيوسية التي ركزت على الأخلاق والاحترام، والطاوية التي شددت على الانسجام مع الطبيعة⁹.

تميز الصينيون بالعديد من الاختراعات التي كان لها أثر عالمي، مثل البوصلة التي غيرت طرق الملاحة، والورق والطباعة بالحروف المتحركة التي ساعدت في نشر المعرفة¹⁰.

بالإضافة إلى ذلك، تفوقت الصين في الطب التقليدي الذي اعتمد على الأعشاب والعلاج بالإبر، ما جعلها من أوائل الحضارات التي اهتمت بالعلوم الصحية. من الناحية الاقتصادية، اعتمدت الصين على زراعة الأرز التي كانت تشكل العمود الفقري للاقتصاد، كما برعت في صناعة الحرير الذي كان سلعة ثمينة تُصدر عبر طريق الحرير إلى مختلف أنحاء العالم¹¹.

هكذا تتميز حضارات غرب وجنوب آسيا ومصر بتاريخ طويل من الإنجازات الحضارية التي شكلت الأساس للحضارة الإنسانية. تجمع هذه الحضارات على عدة سمات مشتركة، منها اعتمادها على أنهار كبرى أسهمت في ازدهار الزراعة، وابتكار نظم كتابة، وتطوير أنظمة حكم معقدة، إلى جانب إبداعات في العلوم والفنون. دراسة هذه الحضارات تكشف عن كيفية تطور المجتمعات الإنسانية، ومدى تأثيرها المستمر على العالم المعاصر¹².

الهوامش:

- ¹ محمد فتحي الشنيطي، مصادر دراسة الحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة وهبة، 2005، ص. 45-47.
- ² أحمد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1989، ص. 110-115
- ³ نفسه، ص. 110-115
- ⁴ ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004، ص. 477-500.
- ⁵ علي الوردي، حضارة بلاد الرافدين، بغداد: دار العلم للملايين، 1981، ص. 23-30.
- ⁶ نفسه، ص. 23-30.
- ⁷ سلمان خاطر، تاريخ الحضارات القديمة، بيروت: دار الفكر العربي، 2003، ص. 115.
- ⁸ نفسه، ص. 55-60.
- ⁹ محمد فتحي الشنيطي، المرجع السابق، ص. 45-47.
- ¹⁰ ابن خلدون، المرجع السابق، ص. 90-95.
- ¹¹ نفسه، ص. 90-95.
- ¹² محمد فتحي الشنيطي، المرجع السابق، ص. 45-47.

المحاضرة 4: فجر التاريخ والاختراعات السابقة للحضارة

يمثل فجر التاريخ نقطة تحول أساسية في تطور الإنسان، إذ شهد هذا العصر ابتداء مجموعة من الاختراعات التي شكلت الأسس التي بنيت عليها الحضارات الكبرى فيما بعد. قبل وجود دول وممالك وحضارات منظمة، كانت المجتمعات البشرية تعتمد على الصيد وجمع الثمار والتنقل الدائم، لكن مع ظهور اختراعات أساسية مثل الكتابة والعجلة والزراعة، حدث تغيير جذري في نمط الحياة، مما أدى إلى تكوين مجتمعات مستقرة تمتلك المعرفة والتنظيم الاجتماعي¹.

يطلق مصطلح "فجر التاريخ" على المرحلة التي بدأ فيها الإنسان يستخدم الكتابة لتوثيق الأحداث والأنشطة، وهي تفصل بين عصور ما قبل التاريخ، التي يغيب فيها التدوين، وبين العصور التاريخية التي تعتمد على السجلات المكتوبة كمصدر رئيس لفهم المجتمعات القديمة. ورغم غياب الكتابة في بعض المجتمعات خلال هذه المرحلة، فإن معالم التنظيم الاجتماعي والاقتصادي بدأت تتبلور².

في هذه المحاضرة، سنتناول هذه الاختراعات ونحلل دورها المحوري في التحول من حياة الإنسان البدائية إلى حياة الحضارة المعقدة.

1 - الكتابة

أ - تعريف وأهمية الكتابة

الكتابة هي نظام رمزي يستخدم لنقل الأفكار والمعلومات بين الأفراد وعبر الأجيال. ظهرت الكتابة كتطور طبيعي بعد تراكم المعرفة والرغبة في توثيق المعلومات بشكل دائم. كانت الكتابة أكثر من مجرد وسيلة تسجيل؛ إذ كانت أداة لتأسيس أنظمة إدارية وقانونية، ولتطوير الفنون والعلوم³.

دون الكتابة، كانت المعرفة عرضة للنسيان أو التحريف مع مرور الزمن، لكن مع اختراعها، أصبحت الحضارات قادرة على نقل تاريخها، وقوانينها، وطقوسها الدينية، ومهاراتها التقنية عبر الأجيال⁴.

ب - تطور الكتابة من الرموز إلى الأنظمة المعقدة

بدأت الكتابة في بلاد الرافدين لدى السومريين عبر الكتابة المسمارية حوالي 3200 ق.م، والتي استخدمت رموزًا صغيرة على ألواح الطين. كانت هذه الرموز تصويرية في الأصل ثم تطورت إلى رموز تجريدية تمثل أصواتًا وكلمات⁵.

كما تطورت الكتابة في مصر القديمة على شكل الهيروغليفية التي ظهرت حوالي 3100 ق.م، وجمعت بين الصور والرموز التعبيرية. أما في بلاد الشام، فقد تطورت الأبجديات الفينيقية حوالي 1050 ق.م والتي أثرت بشكل مباشر في الأبجدية اليونانية والرومانية، مما جعلها من أهم الأسس للكتابة الحديثة⁶.

ج - دور الكتابة في حفظ المعرفة وبناء الحضارات

مع الكتابة، بدأت تظهر المكتبات والمخطوطات التي جمعت العلوم والآداب والتاريخ. على سبيل المثال، في بلاد الرافدين، عُثر على آلاف الألواح الطينية التي تحتوي على نصوص قانونية (مثل قانون حمورابي سنة 1754 ق.م)، وسجلات تجارية، وأدب (مثل ملحمة جلجامش التي تعود إلى نحو 2100 ق.م).⁷

مكتبات مثل مكتبة آشور بانيبال في آشور كانت مراكز ثقافية وعلمية هامة، وساعدت في نشر المعرفة وتطوير الفلسفة والعلوم.⁸

2 - العجلة

أ - أصل اختراع العجلة

تعود أقدم الأدلة على استخدام العجلة إلى بلاد الرافدين حوالي 3500 قبل الميلاد. اكتُشفت نماذج أولية لعجلات خشبية، وأُستخدمت في البداية للعربات التي كانت تجر بواسطة الحيوانات، مما حسن بشكل كبير من حركة الأشخاص والبضائع.⁹

ب - تأثير العجلة على وسائل النقل والتجارة

سمحت العجلة بتطوير وسائل نقل أكثر كفاءة وسرعة، مما وسع دائرة التجارة بين المناطق المختلفة. كما ساعدت العجلة في تطوير الصناعات المرتبطة بالنقل، مثل صناعة العربات والعجلات.¹⁰

بفضل العجلة، أصبح من الممكن إنشاء طرق تجارية طويلة المدى، ونقل المواد الخام والمنتجات المصنعة، مما أدى إلى ازدهار اقتصادي وزيادة التواصل الثقافي بين الشعوب¹¹.

ج - استخدامات أخرى للعجلة

إلى جانب النقل، تم استخدام العجلة في صناعات أخرى، مثل طاحونة الهواء والماء، التي ساهمت في تطوير الزراعة والصناعة¹².

3 - الزراعة

أ - الثورة الزراعية وبداياتها

تعتبر الثورة الزراعية بداية للتحويل الجذري في حياة الإنسان، من صياد وجامع إلى مزارع ومستقر. بدأت هذه الثورة في منطقة الهلال الخصيب، التي تمتد بين نهري دجلة والفرات في الشرق الأوسط، منذ حوالي 10,000 سنة قبل الميلاد¹³.

نجح الإنسان في تدجين النباتات والحيوانات، مما أدى إلى توفير إمدادات غذائية مستقرة. هذا الاستقرار سمح بزيادة عدد السكان، وظهور القرى، ثم المدن¹⁴.

ب - مراحل تطور الزراعة

- الزراعة البدائية: كانت تعتمد على جمع البذور البرية وزراعتها في أماكن محدودة.
- الزراعة المنظمة: تطورت إلى استخدام الأدوات الزراعية مثل المحاريث المصنوعة من العظام والحجارة.

- الري والتحكم بالمياه: أنشئت قنوات ريّ لتحسين إنتاج المحاصيل، خاصة في بلاد الرافدين¹⁵.

ج - تأثير الزراعة على المجتمع

أدت الزراعة إلى ظهور تخصصات جديدة في المجتمع، إذ أصبح هناك فلاحون، حرفيون، تجار، وحكام. هذا التخصص ساعد على نشوء الطبقات الاجتماعية المختلفة وتأسيس نظم حكم مركزية¹⁶.

كما ساعدت الزراعة في تطور المدن التي أصبحت مراكز حضارية، وظهرت الثقافة والفنون، وابتكار أنظمة دينية وسياسية¹⁷.

4 - اختراعات أخرى مهمة في فجر التاريخ

أ - صناعة الفخار

ظهرت صناعة الفخار مع الزراعة، حيث كان لا بد من تخزين المحاصيل والمياه. وتعود أقدم الاواني الفخارية إلى حوالي 7000 سنة ق.م، تطورت أدوات الفخار من الأواني البسيطة إلى أشكال فنية معقدة، مما يعكس تطور المهارات الحرفية والفنية¹⁸.

ب - الأدوات الحجرية والمعادن

استخدم الإنسان في العصور الحجرية، أدوات من الحجر والخشب والعظام، لكن مع مرور الزمن بدأ استخدام المعادن مثل النحاس حوالي 5000 ق.م، والبرونز حوالي 3300 ق.م، مما أدى إلى تطوير أدوات وأسلحة أكثر كفاءة¹⁹.

ج - استخدام النار

السيطرة على النار كانت من أهم الاكتشافات البشرية، ويعتقد أن الإنسان عرف النار منذ حوالي 1.5 مليون سنة، حيث ساعدت في الطهي، الحماية، وصناعة الأدوات²⁰.

ويمكن القول أن: اختراعات الكتابة، العجلة، والزراعة، إلى جانب اختراعات أخرى مثل صناعة الفخار واستخدام المعادن، شكّلت الركائز التي قامت عليها الحضارات الأولى. بفضل هذه الاختراعات، استطاع الإنسان أن يتجاوز حدود الحياة البدائية إلى بناء مجتمعات معقدة، متطورة ثقافياً واجتماعياً، حيث نشأت المدن، الحكومات، والعلوم²¹.

هذه المرحلة التاريخية تمثل نقطة الانطلاق لفهم تطور الإنسان والحضارات، وهي محور دراستنا لفهم كيف استطاعت البشرية أن تبني حضاراتها الكبرى التي أثرت في تاريخ العالم كله²².

الهوامش:

- ¹ أحمد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1989، ص 17-20
- ² محمود خالد الزيني، مدخل إلى علم الآثار والحضارات القديمة، القاهرة: دار المعارف، 1998، ص 45.
- ³ محمد فتحي الشنيطي، مصادر دراسة الحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة وهبة، 2005، ص 33-39.
- ⁴ نفسه، ص 33-39.
- ⁵ محمد أسعد طلس، مبادئ الحضارة وتاريخها العام، بيروت: دار الفكر، 1981، ص 18-21.
- ⁶ ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004، ص 482.
- ⁷ نفسه، ص 484-495.
- ⁸ سلمان خاطر، تاريخ الحضارات القديمة، بيروت: دار الفكر العربي، 2003، ص 45-50.
- ⁹ نفسه، ص 45-50.
- ¹⁰ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 17-20
- ¹¹ محمد فتحي الشنيطي، المرجع السابق، ص 33-39.
- ¹² نفسه، ص 33-39.
- ¹³ ابن خلدون، المرجع السابق، ص 74-80.
- ¹⁴ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 17-20.
- ¹⁵ محمد فتحي الشنيطي، المرجع السابق، ص 33-39.
- ¹⁶ سلمان خاطر، المرجع السابق، ص 45-50.
- ¹⁷ ابن خلدون، المرجع السابق، ص 74-80.
- ¹⁸ سلمان خاطر، المرجع السابق، ص 45-50.
- ¹⁹ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 17-20.
- ²⁰ ابن خلدون، المرجع السابق، ص 74-80.
- ²¹ محمد فتحي الشنيطي، المرجع السابق، ص 33-39.
- ²² سلمان خاطر، المرجع السابق، ص 45-50.
- ²³ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد: مطبعة الإرشاد، 1965، ص 23-27.

المحاضرة 5: المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارة

تعتبر دراسة الحضارات القديمة من خلال المصادر المختلفة، سواء كانت مادية أو أدبية، من الركائز الأساسية لفهم طبيعة تلك الحضارات وتطورها عبر الزمن. فالحضارة ليست مجرد زمن أو مكان، بل هي نسيج متداخل من الممارسات الاجتماعية، القيم الثقافية، الأنظمة الاقتصادية، الأفكار الدينية والسياسية، والتقنيات العلمية¹. ولذلك، فإن الاعتماد على مصادر متعددة يتيح للباحثين تأكيد المعلومات وتفكيك الألغاز التاريخية.

المصادر المادية، التي تشمل الآثار والأدوات والمباني والقطع الفنية، تقدم دليلاً ملموساً ومرئياً عن أساليب الحياة، الفنون، والاقتصاد في العصور القديمة². أما المصادر الأدبية، التي تضم النصوص المكتوبة، الأساطير، القوانين، والقصص، فهي تفتح نافذة على الفكر البشري، النظام السياسي، العقائد الدينية، والتقاليد الثقافية³.

في هذه المحاضرة، سنناقش تفصيلياً المصادر المادية والأدبية ودورها في دراسة الحضارة، مع تقديم أمثلة تطبيقية من حضارات متنوعة.

1 - المصادر المادية لدراسة الحضارة

أ - مفهوم المصادر المادية

المصادر المادية هي كل ما خلفته الحضارات من آثار مادية ملموسة مثل المباني، القطع الأثرية، الأدوات، التماثيل، والنقوش. وتعتبر هذه المصادر دليلاً مباشراً على حياة الإنسان القديمة، تعكس بيئته، مهاراته، نظامه الاقتصادي، حتى معتقداته الدينية والفنية⁴.

من خلال تحليل هذه الآثار، يمكن للباحثين إعادة بناء مجتمعات تلك الحضارات من حيث التنظيم الاجتماعي ومستوى التقنية وطرق العيش.

ب - أنواع المصادر المادية

- الآثار المعمارية

تشمل الأبنية مثل المعابد، القصور، القلاع، والمدافن. تقدم هذه المنشآت دليلاً على التطور المعماري والهندسي، وأيضاً على التنظيم السياسي والديني. على سبيل المثال، معابد مصر الفرعونية مثل معبد الكرنك تظهر مدى تعقيد النظام الديني وتفصيله، كما تعكس فخامة الحكم الفرعوني. أما في بلاد الرافدين، توفر الزقورات معلومات عن العبادة والطريقة التي نظمت بها المجتمعات العلاقة بين الإنسان والإله⁵.

- الأدوات والقطع اليومية

تتمثل في الفخار، الأسلحة، أدوات الزراعة، والمجوهرات. توضح هذه الأدوات تطور المهارات اليدوية والتقنية، فضلاً عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية. على سبيل المثال، أدوات الزراعة المصنوعة من الحجر والمعادن توضح مراحل تطور الزراعة والاقتصاد الزراعي، وهي مؤشر هام على تطور الحضارة⁶.

- التماثيل والنقوش

التماثيل هي تعبير فني يعكس الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية. فتماثيل الملوك والآلهة تعبر عن السلطة والسيادة، بينما النقوش التي تتضمن نصوصاً دينية أو إعلانية

تقدم معلومات عن اللغة والكتابة والمعتقدات. النقوش المسمارية في بلاد الرافدين تقدم وثائق هامة عن السياسة، الاقتصاد، والتاريخ⁷.

ج - أهمية المصادر المادية

تكمن أهمية المصادر المادية في كونها تسمح بدراسة الحضارات بطريقة مباشرة وعملية. فهي لا تتأثر بالتحريفات التي قد تتعرض لها النصوص الأدبية أو الشفوية. كما أن المصادر المادية توفر فرصة لفهم الجوانب التقنية والاقتصادية التي قد تغيب عن التحليل الأدبي، مثل تطور الأدوات الزراعية، الصناعة، والعمارة.

كما أن التنقيب الأثري يعزز إمكانية اكتشاف حضارات غير موثقة في النصوص المكتوبة، مما يزيد من ثراء الفهم التاريخي. ففي مواقع مثل مدينة أور في العراق أو موقع طيبة في مصر، تكشف الحفريات عن تفاصيل لم تُذكر في المصادر الأدبية⁸.

د - أمثلة

على سبيل المثال، اكتشاف معبد الجبانة في مصر القديمة كشف النقاب عن طقوس دينية لم تكن معروفة من قبل. كما أن دراسة الأدوات الفخارية في موقع تل العمارنة عكست تقنيات إنتاج متقدمة كانت سائدة في الأسرة الـ18 الفرعونية⁹.

وفي الحضارة الإغريقية، التحف الفنية والتماثيل تؤرخ للفترة الكلاسيكية وتبين التطور في فن التشريح والواقعية، كما تعكس القيم الفكرية والفلسفية للحضارة¹⁰.

2 - المصادر الأدبية لدراسة الحضارة

أ - مفهوم المصادر الأدبية

المصادر الأدبية هي النصوص المكتوبة أو المروية التي تشمل الأساطير، الأشعار، القصص، القوانين، المعاهدات، والكتابات الدينية. هذه النصوص تقدم رؤى عميقة عن الفكر البشري، المعتقدات، النظام السياسي والاجتماعي، بالإضافة إلى القيم الثقافية والاقتصادية التي شكلت هوية الحضارات¹¹.

ب - أنواع المصادر الأدبية

- النصوص الأدبية والمرويات

تشمل القصص والأساطير التي تنقل معتقدات الشعوب حول الكون والإنسان، وتبرز القيم الأخلاقية والاجتماعية. مثلاً، أساطير الإغريق عن الآلهة والأبطال تكشف نظرتهم للعالم، كما أن ملحمة جلجامش في بلاد الرافدين تبرز قضايا الإنسان الوجودية¹².

- القوانين والمعاهدات

النصوص القانونية مثل قانون حمورابي تعتبر من أهم مصادر فهم النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. فهذه القوانين توضح طريقة الحكم، العقوبات، الحقوق والواجبات، وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع. كما أن المعاهدات بين الممالك تعطينا فكرة عن العلاقات الدبلوماسية والسياسية¹³.

- النصوص الدينية

الديانات شكلت محوراً رئيسياً في حياة الشعوب القديمة، والنصوص الدينية كالكتب المقدسة والصلوات والطقوس تشرح العقائد التي كانت سائدة. فهي تقدم معلومات عن الألهة، الشعائر، والمعتقدات المرتبطة بالحياة والموت¹⁴.

- الرسائل والسجلات الإدارية

تمنحنا الرسائل والسجلات معلومات عن الحياة اليومية، التجارة، العلاقات الاجتماعية، والحكم الإداري. فهي توضح جوانب من الحياة الاقتصادية والسياسية لم تكن بالضرورة موضوعاً للنصوص الأدبية¹⁵.

ج - أهمية المصادر الأدبية

تلعب المصادر الأدبية دوراً أساسياً في فهم ثقافة الشعوب، لأنها تعرض الأفكار والقيم التي لا يمكن التقاطها فقط من خلال الآثار. فهذه النصوص تعكس التفاعل الإنساني مع بيئته، أفكاره حول الكون، الأسس الأخلاقية، والأطر السياسية التي شكلت المجتمعات.

علاوة على ذلك، تسمح المصادر الأدبية بمتابعة تطور اللغة والكتابة، ما يساعد في فهم التحولات الثقافية والتاريخية¹⁶.

د - أمثلة:

قانون حمورابي، أحد أقدم النصوص القانونية، يوضح تنظيم المجتمع البابلي، ويكشف عن حقوق الملكية، العقوبات، والعلاقات الاجتماعية.

أما في مصر، نصوص مثل "كتاب الموتى" توضح معتقدات الحياة بعد الموت والطقوس الجنائزية¹⁷.

الأساطير الإغريقية مثل قصص زيوس وهيراكليس تكشف عن مفهوم الأبطال والألوهية، كما تعكس رؤية الإغريق للعالم.

3 - كتب المؤرخين القدماء كمصادر لدراسة الحضارة

- **هيرودوت (القرن 5 ق.م):** في كتابه *التواريخ* وصف مصر والفرس واليونانيين، ويُعتبر أول من دَوّن التاريخ بطريقة منهجية.
- **ديودور الصقلي (القرن 1 ق.م):** ألّف *المكتبة التاريخية*، موسوعة شاملة عن حضارات العالم القديم.
- **بلوتارخ (القرن 1 م):** كتب *السير المقارنة* التي ركزت على القادة اليونانيين والرومان وأخلاقهم وتأثيرهم في مجتمعاتهم.
- **مانيتون (القرن 3 ق.م):** وضع قائمة ملوك مصر، التي أصبحت أساسًا لتقسيم الأسرات في التاريخ المصري.

- مؤرخون آخرون: مثل كتيسياس (عن فارس)، سترابون (عن جغرافيا مصر والشرق)، ويوسيفوس (عن تاريخ اليهود).¹⁸

4 - التداخل بين المصادر المادية والأدبية في دراسة الحضارة

لا يمكن دراسة الحضارة بشكل متكامل دون الربط بين المصادر المادية والأدبية، حيث يكمل كل منهما الآخر. فالآثار والقطع المادية تدعم أو توضح النصوص الأدبية، والعكس صحيح.

مثلاً، النقوش على جدران المعابد تكشف النصوص الدينية والسياسية المكتوبة التي تعزز فهمنا للآثار. وأدوات الزراعة المكتشفة يمكن أن تتطابق مع نصوص توضح أساليب الزراعة. هذا التداخل يعطي الصورة الأكثر دقة للحضارة.¹⁹

إن المصادر المادية والأدبية تمثلان القاعدة الأساسية لدراسة الحضارات القديمة. فكل نوع منهما يحمل جانباً من الحقيقة عن حياة الإنسان القديم، ويكمل الآخر في إظهار صورة متكاملة للتاريخ.²⁰ ويعتمد الباحثون على هذه المصادر معاً لإعادة بناء الحضارات وتحليل تطورها الاقتصادي، السياسي، الاجتماعي، والثقافي. ومن خلال هذا الفهم العميق، يمكننا استلهام دروس للمستقبل وفهم كيفية تشكل الحضارات عبر العصور.

الهوامش:

- ¹ سمير العبداني، المصادر المادية والأدبية لدراسة التاريخ العربي القديم، جامعة محمد بوضياف - المسيلة، قسم التاريخ، 2020، ص 12.
- ² طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الحرية، 1973، ص 21-23.
- ³ لويس عوض، دراسات في الحضارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001، ص 18.
- ⁴ سبتيانو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 57.
- ⁵ جورج مرعي حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1951، ص 47-49.
- ⁶ بدر نبيل ملحم، تاريخ الحضارات القديمة، الإصدار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2015، ص 154.
- ⁷ لويس عوض، المرجع السابق، ص 19.
- ⁸ طه باقر ناصر، المرجع السابق، ص 46.
- ⁹ بدر نبيل ملحم، المرجع السابق، ص 158.
- ¹⁰ Colin Renfrew & Paul Bahn. Archaeology: Theories, Methods and Practice, 7th Edition, Thames & Hudson, London, 2016, p 149.
- ¹¹ لويس عوض، المرجع السابق، ص 18.
- ¹² بدر نبيل ملحم، المرجع السابق، ص 200.
- ¹³ جورج مرعي حداد، المرجع السابق، ص 46.
- ¹⁴ سبتيانو موسكاتي، المرجع السابق، ص 61.
- ¹⁵ بدر نبيل ملحم، المرجع السابق، ص 210.
- ¹⁶ Colin Renfrew & Paul Bahn, op cit, p 149.
- ¹⁷ جورج مرعي حداد، المرجع السابق، ص 46.
- ¹⁸ Breisach, E. Historiography: Ancient, Medieval, and Modern (3rd ed.). University of Chicago Press, 2007, pp. 5-80.
- ¹⁹ طه باقر ناصر، المرجع السابق، ص 49.
- ²⁰ سبتيانو موسكاتي، المرجع السابق، ص 63.

المحاضرة 06: حضارة بلاد الرافدين - المراحل الكبرى

تعد حضارة بلاد الرافدين من أعرق الحضارات القديمة في التاريخ البشري، وقد نشأت في منطقة جغرافية خصبة بين نهري دجلة والفرات، حيث سهلت الظروف البيئية تطور الزراعة وظهور المجتمعات المدنية المنظمة. تميزت هذه الحضارة بتطورها السريع في مجالات متعددة مثل الكتابة، القانون، الإدارة، والعمارة، ومرت بعدة مراحل رئيسية مثلت كل منها نقلة نوعية في تاريخ البشرية¹.

وقد شكّلت هذه المراحل تطوراً متسلسلاً لحضارة عظيمة ساهمت في بناء اللبنة الأولى للمدنية الإنسانية، بداية من سومر ومروراً بأكاد وبابل وآشور، وصولاً إلى الدولة الكلدانية².

1 - حضارة سومر - البدايات الأولى

أ - الفترة الزمنية: حوالي 3500 ق.م - 2300 ق.م

نشأت حضارة سومر في الجزء الجنوبي من العراق الحالي، وتُعد أول حضارة منظمة في تاريخ البشرية³. أسس السومريون عددًا من المدن المستقلة التي عُرفت بـ"المدن-الدول"، أبرزها: أوروك، أور، نيبور، لكش.

وقد برع السومريون في الزراعة والتنظيم الاجتماعي، وابتكروا نظامًا إداريًا متقدمًا ساعدهم على بناء مؤسسات سياسية ودينية فعالة⁴.

ب - أبرز إنجازات حضارة سومر: ⁵

- الكتابة المسمارية: أول نظام كتابة في التاريخ، استخدم لتسجيل المعاملات والطقوس الدينية.
- نظام الحكم: تنظيم "دولة-مدينة" مستقلة، لكل منها حاكم (لوغال) يترأس السلطة الدنيوية والدينية.⁶
- الزقورات: معابد ضخمة على شكل هرم مدرّج بنيت من الطوب الطيني، كانت مراكز عبادة وإدارة.⁷
- الزراعة والري: تطوير أنظمة ري معقدة باستخدام القنوات والسدود.⁸
- الأدب: تأليف ملحمة جلجامش، التي تعتبر من أقدم وأهم الأعمال الأدبية في العالم القديم.⁹

2 - الإمبراطورية الأكديّة - أول وحدة سياسية

أ - الفترة الزمنية: حوالي 2300 ق.م - 2150 ق.م

- تأسست الإمبراطورية الأكديّة على يد الملك سرجون الأكدي، الذي نجح في توحيد المدن السومرية تحت حكم مركزي قوي، مؤسسًا بذلك أول إمبراطورية في التاريخ.¹⁰
- ب - أبرز إنجازات الأكديّة:

- الوحدة السياسية: توحيد مدن سومر ومدن الشمال في كيان سياسي واحد.¹¹
- اللغة الأكاديّة: أصبحت اللغة الرسمية للدولة بدلًا من السومرية.¹²

- التنظيم الإداري: بناء نظام إداري مركزي وإصدار قوانين جديدة¹³.
 - التجارة الخارجية: إقامة علاقات تجارية مع إيران، الخليج، والأناضول¹⁴.
- ورغم قوتها، شهدت الإمبراطورية انهيارًا سريعًا بسبب التمردات الداخلية، والهجمات من القبائل الجبلية (الغوتيين)¹⁵.
- 3 - بابل - الحضارة القانونية والعلمية**
- أ - الفترة الزمنية 1894 ق.م - 539 ق.م**
- بلغت مدينة بابل ذروتها خلال حكم الملك حمورابي، الذي يُعد من أعظم المشرّعين في العصور القديمة¹⁶. عرفت هذه الفترة تطورًا كبيرًا في النواحي القانونية والعلمية¹⁷.
- ب - أبرز إنجازات بابل:**
- قانون حمورابي: أول قانون مكتوب ومنقوش على أعمدة حجرية، يشمل مختلف جوانب الحياة¹⁸.
 - التقدم العلمي: تطور علمي كبير في مجالات الفلك، الرياضيات، والطب¹⁹.
 - العمارة: تشييد المعابد والقصور والأسوار العالية حول المدينة²⁰.
 - الثقافة والتعليم: انتشار المدارس والمعاهد، وتدوين النصوص الدينية والأدبية²¹.
- كانت بابل في هذا العصر مركزًا حضاريًا عالميًا، وامتدت تأثيراتها إلى خارج حدود العراق القديم²².

4 - آشور - القوة العسكرية والتنظيم الإداري

أ - الفترة الزمنية 1350 ق.م - 609 ق.م

ظهرت حضارة آشور في شمال العراق، وتميزت بقوة عسكرية هائلة ونظام إداري دقيق ومنظم. اعتمدت سياستها على التوسع العسكري والهيمنة²³.

ب - أبرز إنجازات الآشوريين:

- الجيش المنظم: استخدام العربات الحربية، والتدريب العسكري المنهجي²⁴.
 - التوسع الإقليمي: السيطرة على أجزاء واسعة من الشرق الأدنى، بما في ذلك مصر وفلسطين²⁵.
 - مكتبة آشور بانيبال: من أهم المكتبات في العالم القديم، ضمت آلاف الألواح المسمارية²⁶.
 - البنية التحتية: تطوير الطرق، القلاع، وأنظمة المراسلات²⁷.
- رغم قوتهم العسكرية، فقد سقطت الإمبراطورية الآشورية بسبب تمردات داخلية وتدخل التحالفات الخارجية²⁸.

5 - الدولة الكلدانية (بابل الجديدة) - النهضة البابلية

أ - الفترة الزمنية 626 ق.م - 539 ق.م

نشأت الدولة الكلدانية بعد سقوط آشور، وبلغت أوجها في عهد نبوخذ نصر الثاني، الذي أعاد بناء بابل وجعلها منارة حضارية كبرى²⁹.

ب - أبرز إنجازات الدولة الكلدانية:

- إعادة بناء بابل: وتزيينها بأبنية ضخمة ك بوابة عشتار والأسوار المزخرفة³⁰.
 - الحدايق المعلقة: التي تُعد إحدى عجائب الدنيا السبع (رغم الجدل حول وجودها)³¹.
 - النهضة الفنية والمعمارية: تطور غير مسبوق في النحت والهندسة³².
 - التقدم العلمي: خصوصاً في الفلك والتقويم، إضافة إلى الاهتمام بالتعليم والدين³³.
- وقد انتهت هذه المرحلة بسقوط بابل على يد الفرس بقيادة كورش الكبير عام 539 ق.م³⁴.

يمكن القول أن حضارة بلاد الرافدين من أكثر الحضارات تأثيراً في التاريخ الإنساني، حيث وضعت الأسس الأولى لمفاهيم الكتابة، القانون، الدولة، التقويم، والزراعة³⁵.

مرّت هذه الحضارة بتحوّلات كبيرة، من التجزئة إلى التوحيد، ومن القوة إلى الانهيار، لكنها تركت إرثاً خالداً يتجاوز الزمان والمكان، وتبقى حتى اليوم نموذجاً مدهشاً لقدرة الإنسان على البناء والتطور في ظل تحديات الطبيعة والواقع³⁶.

الهوامش:

- ¹ صامويل نوح كريم، مهد الحضارة: سومر، ترجمة وتقديم: حسني زينة، دار نلسن، 2017، ص 15-25.
- ² جورج رو، العراق القديم: تاريخ حضارات ما بين النهرين .ترجمة: عبد الرزاق عبد الواحد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2005، ص7-12.
- ³ صامويل نوح كريم، المرجع السابق، ص30-40.
- ⁴ جورج رو، المرجع السابق، ص25-40.
- ⁵ صامويل نوح كريم، المرجع السابق، ص 60-75.
- ⁶ جورج رو، المرجع السابق، ص45-50.
- ⁷ جان بوتيرو، بلاد الرافدين: الكتابة، العقل، والآلة، ترجمة وتقديم: عامر رشيد، دار المأمون، 2002، ص100-115.
- ⁸ صامويل نوح كريم، المرجع السابق ، ص50-55.
- ⁹ جان بوتيرو، المرجع السابق، ص120-135.
- ¹⁰ سيرج بيكوريل، سرجون الأكدي: أول إمبراطورية في التاريخ، ترجمة: خالد غسان، منشورات الجمل، 2015، ص60-70
- ¹¹ نفسه، ص75-80.
- ¹² جورج رو، المرجع السابق ، ص85-93.
- ¹³ سيرج بيكوريل، المرجع السابق، ص92-95.
- ¹⁴ نفسه، ص98-105
- ¹⁵ نفسه، ص140-157.
- ¹⁶ مارك فان دي ميروب، تاريخ الشرق الأدنى القديم: حوالي 3000-323 قبل الميلاد، بلاكويل بابليشينج، 2007، ص121-129.
- ¹⁷ نفسه، ص135.
- ¹⁸ نفسه، ص140-150.
- ¹⁹ هاري ساجز، عظمة بابل: تاريخ الحضارة البابلية والآشورية، ترجمة: محمد الفاضل، دار المدى للثقافة والنشر، 2008، ص181-196.
- ²⁰ مارك فان دي ميروب، المرجع السابق، ص162-170.
- ²¹ هاري ساجز، المرجع السابق، ص201-211.
- ²² مارك فان دي ميروب، المرجع السابق، ص116-120.
- ²³ جورج رو، المرجع السابق ، ص201-214.
- ²⁴ نفسه، ص220-229.
- ²⁵ نفسه، ص235-247.
- ²⁶ جان بوتيرو، المرجع السابق ، ص300-311.

- ²⁷ جورج رو، المرجع السابق ، ص254-263.
- ²⁸ نفسه، ص270-280.
- ²⁹ مارك فان دي ميروب، المرجع السابق، ص291-306.
- ³⁰ نفسه، ص311-324.
- ³¹ هاري ساجز، المرجع السابق، ص333-344.
- ³² مارك فان دي ميروب، المرجع السابق ، ص351-366.
- ³³ هاري ساجز، المرجع السابق، ص372-386.
- ³⁴ مارك فان دي ميروب، المرجع السابق ، ص390-400.
- ³⁵ صامويل نوح كريمر، المرجع السابق ، ص400-408.
- ³⁶ جورج رو، المرجع السابق ، ص419-434.

المحاضرة 07: مظاهر الحضارة في بلاد الرافدين (الدين - نظام الحكم - الاقتصاد)

تعد حضارة بلاد الرافدين من أقدم وأعظم الحضارات الإنسانية، وقد نشأت في منطقة خصبة بين نهري دجلة والفرات فيما يُعرف اليوم بالعراق. ازدهرت هذه الحضارة منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وتطورت عبر مراحل مختلفة مثل الحضارة السومرية، الأكديّة، البابليّة، والآشورية، وقد تركت هذه الحضارات إرثاً حضاريّاً ثريّاً في مجالات متعددة أبرزها الدين، ونظام الحكم، والاقتصاد.

1 - الدين في حضارة بلاد الرافدين

أ - الطابع الديني العام

كان الدين يحتل مكانة مركزية في حياة سكان بلاد الرافدين، حيث اعتقدوا بتعدد الآلهة التي تمثل قوى الطبيعة والكون، مثل إله السماء "آن"، وإله الهواء "إنليل"، وإله الماء "إنكي"، وإله الشمس "أوتو"، وإلهة الحب والحرب "عشتار"¹. وكانت لكل مدينة إلهها الخاص، يُبجل ويُعبد في معابد ضخمة تُعرف بـ"الزقورات".

ب - الكهنة ودورهم في المجتمع

كان الكهنة طبقة اجتماعية ذات نفوذ قوي، إذ تولّوا مسؤوليات دينية، واقتصادية، وسياسية. فقد أشرفوا على إدارة شؤون المعابد، وامتلكوا الأراضي الزراعية، وشاركوا في تفسير الأحلام والعرافة، مما منحهم تأثيراً مباشراً على حياة الأفراد والملوك²

ج - الطقوس والمعتقدات

تضمنت الحياة الدينية إقامة الطقوس والقربان، واحتفالات دينية سنوية، واعتقاداً بالحياة الأخرى، حيث كانت الجنائز تُجهز بشكل يعكس الإيمان بالحياة بعد الموت. كما دَوّن سكان الرافدين أساطير دينية مثل "ملحمة جلجامش"، التي تناولت موضوعات الخلود والآلهة والقدر³

2 - نظام الحكم في بلاد الرافدين

أ - تطور النظام السياسي

بدأ النظام السياسي في بلاد الرافدين في شكل "مدن-دول" مستقلة مثل أوروك، أور، ولكش، حيث كان كل منها يحكمها ملك يُعرف بـ"إنسي" أو "لوغال". وقد تطور هذا النظام لاحقاً إلى ممالك وإمبراطوريات تحت قيادة شخصيات مثل سرجون الأكدي (2334 ق.م) الذي أسس أول إمبراطورية موحدة في التاريخ⁴

ب - خصائص النظام الملكي

اتسم الحكم بطابع ديني، حيث اعتُبر الملك ممثلاً للآلهة على الأرض. ومن أبرز الأمثلة على السلطة الملكية الدينية، شخصية حمورابي الذي أصدر أول مدونة قانونية مدونة تُعرف بـ"شريعة حمورابي"، والتي تنص على أن القوانين مستمدة من إرادة الآلهة، ويطبقها الملك⁵

ج - التنظيم الإداري والقانوني

كان للملك جهاز إداري متكامل يشمل الحكام المحليين، والموظفين، والمحاسبين، وكتبة السجلات. أما على الصعيد القانوني، فقد مثّلت شريعة حمورابي علامة فارقة، إذ ضمّت قوانين في العقوبات، الأسرة، التجارة، والملكية. وشجعت على إقامة العدل، رغم تفاوت العقوبات حسب الطبقة الاجتماعية⁶

3 - الاقتصاد في بلاد الرافدين

أ - الزراعة والري

كانت الزراعة أساس الاقتصاد، حيث ساعدت الأراضي الخصبة ومياه دجلة والفرات على تطوير أنظمة ري معقدة. زرع السكان الحبوب كالقمح والشعير، وطوروا أدوات زراعية كالمنجل والمحاريث، مما ساعد في دعم الأمن الغذائي للمدن⁷

ب - التجارة والصناعة

مارس سكان الرافدين التجارة الداخلية والخارجية، وصدّروا التمور، والحبوب، والصوف، واستوردوا الخشب والمعادن من الأناضول والخليج. كما تطورت الصناعات اليدوية مثل الفخار، والنسيج، والمعادن، وظهر نظام المقايضة ثم استخدام الفضة كوحدة للقيمة⁸

ج - دور المعبد في الاقتصاد

لعب المعبد دورًا اقتصاديًا كبيرًا، إذ امتلك أراضي شاسعة، وأشرف على تخزين الغلال، وتوزيع الموارد، وتوظيف العمال. كانت المعابد مؤسسات إنتاجية واقتصادية إلى جانب دورها الديني، مما جعلها مراكز ثروة وقوة⁹

يمكن القول أن حضارة بلاد الرافدين أثبتت تفوقها الحضاري من خلال نظام ديني متكامل، وحكم مركزي متطور، واقتصاد متنوع وقوي. تركت هذه الحضارة بصمة لا تُمحى في التاريخ الإنساني، وما زالت آثارها تؤثر في فهمنا لتاريخ النظم الاجتماعية والاقتصادية والقانونية إلى اليوم.

الهوامش:

- ¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الحرية، 1973، ص 105.
- ² صبحي أنور رشيد، حضارة وادي الرافدين، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2001، ص 66
- ³ صامويل نوح كريم، من ألواح سومر: أولى الحضارات في التاريخ، ترجمة فيصل الوائلي، بيروت: دار المدى، 1997، ص 131.
- ⁴ محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، القاهرة: عين للدراسات، 1998، ص 144
- ⁵ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، القاهرة: دار المعارف، 1994، ص 212.
- ⁶ فوزي رشيد، القانون في حضارة وادي الرافدين، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1985، ص 87.
- ⁷ طه باقر، المرجع السابق، ص 189
- ⁸ صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص 94.
- ⁹ كريم، المرجع السابق، ص 155.

المحاضرة 08: حضارة فارس وعيلام

1 - النشأة والتطور التاريخي

أ - حضارة عيلام

- الموقع الجغرافي: تقع حضارة عيلام في منطقة خوزستان جنوب غرب إيران الحديثة، وهي منطقة غنية بالأنهار مثل كارون وكارون.
- البدايات: بدأت في الألف الثالث قبل الميلاد كمجتمعات زراعية صغيرة، ثم تطورت إلى ممالك منظمة¹.
- التطور السياسي: ازدهرت عيلام كدولة قوية في العصر البرونزي، خصوصاً في الفترة ما بين 2700 و 640 قبل الميلاد.
- التميز الحضاري: برزت عيلام في إنشاء المعابد الفخمة، وأنظمة الري المتقدمة، والكتابة الخاصة بها، التي تختلف عن الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين لكنها تأثرت بها.
- العلاقات الخارجية: كانت عيلام حلقة وصل بين حضارات سومر وبابل من الغرب وحضارات آسيا الوسطى من الشرق، مما جعلها مركزاً تجارياً واستراتيجياً مهماً².

ب - حضارة فارس³

- الموقع الجغرافي: منطقة فارس تقع في جنوب إيران الحالية، وتمتد إلى سهول جبلية وأودية.

- البدايات :نشأت في الألف الأول قبل الميلاد، وكانت في البداية مجموعة من القبائل والدول الصغيرة.
- قيام الإمبراطورية :تحت حكم كورش الكبير (حوالي 550 ق.م) بدأت الفرس بتوحيد القبائل وتأسيس إمبراطورية ضخمة ضمت عدة شعوب وأقاليم.
- الهيمنة السياسية :توسعت الإمبراطورية الأخمينية بسرعة لتشمل بلاد ما بين النهرين، آسيا الصغرى، مصر، وأجزاء من الهند.

2 - الحياة الدينية

أ - الدين في عيلام⁴

- الآلهة والعبادات :كان لدى العيلاميين ديانة تعددية، حيث عبدوا آلهة مرتبطة بالطبيعة مثل الشمس (شنير)، المياه (نانا)، والأرض.
- المعابد :من أشهر معابدهم معبد تشوغازانبيل، وهو بناء هرمي الشكل يعود إلى حوالي 1250 ق.م، ويعتبر من أعظم الإنجازات المعمارية للعيلاميين.
- الطقوس الدينية :شملت تقديم القرابين، إقامة الاحتفالات الموسمية، والطقوس التي اعتقدوا أنها تحافظ على توازن الكون وتضمن الخير والخصوبة.
- المعتقدات حول الحياة الآخرة :كان للعيلاميين مفهوم للحياة بعد الموت، مع اعتقاد بوجود عالم للآخرة يحتاجون فيه إلى تقديم القرابين والطقوس المناسبة.

ب - الدين في فارس⁵

- الديانة الزرادشتية: ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يد زرادشت، وتعتبر من أقدم الديانات التوحيدية.
- المعتقدات الأساسية: الصراع بين الخير والشر، حيث أهورا مزدا يمثل الخير والخالق، وأنغرا ماينيو يمثل الشر والدمار.
- الطقوس: النار كانت رمزاً للنقاء الإلهي، والطقوس تضمنت الحفاظ على النار مقدسة في المعابد.
- الأخلاق والقيم: ركزت الزرادشتية على القيم الأخلاقية مثل الصدق، العدالة، والنقاء الروحي، وتأثيرها امتد إلى ديانات أخرى لاحقة.

3 - الحياة السياسية

أ - النظام السياسي في عيلام

- الهيكل السياسي: كانت عيلام مكونة من عدة ممالك ومدن-دول مستقلة تحكمها سلالات ملكية، لكنها توافقت أحياناً في مواجهة أعداء مشتركين.
- دور الملك: كان الملك يُعتبر ممثل الآلهة على الأرض، وله سلطة مطلقة تقريباً، يتحكم في الشؤون الدينية والعسكرية.
- الإدارة: اعتمدت على بيروقراطية متطورة نسبياً مع كتاب ومسؤولين يتابعون الضرائب والشؤون الداخلية.

- الصراعات والحروب: دخلت عيلام في عدة صراعات مع الجيران مثل الأكاديين والبابليين لكنها حافظت على استقلالها لفترات طويلة.⁶

ب - النظام السياسي في فارس

- الإمبراطورية الأخمينية: شكلت نموذجًا متقدمًا للإدارة المركزية، حيث قُسمت الإمبراطورية إلى أقاليم تسمى "ساترابيات".

- حكام الأقاليم: كان لكل إقليم ساتراب يعينه الملك، وله صلاحيات واسعة لكنه يخضع للمراقبة الصارمة.

- الملك: كان الملك يمثل السلطة المطلقة، ويحكم بسلطة مركزية قوية، وكان يُنظر إليه كابن الإله (أهورا مزدا)

- الشبكة الإدارية: استخدم النظام شبكة من السعاة الملكيين لنقل الأخبار والأوامر، وشكل جيشًا نظاميًا يحافظ على الأمن الداخلي والخارجي.⁷

4 - الاقتصاد

أ - اقتصاد عيلام

- الزراعة: اعتمدت على ري الأراضي باستخدام مياه الأنهار، وزراعة الحبوب مثل القمح والشعير، والفاكهة والخضروات.

- تربية الحيوانات: كانت الماشية جزءًا مهمًا من الاقتصاد، بالإضافة إلى الصيد.

• **الصناعات الحرفية:** تطورت صناعات مثل الفخار، النسيج، وصناعة المعادن، وكانت هذه المنتجات تُصدر إلى المناطق المجاورة.

• **التجارة:** لعبت عيلام دورًا حيويًا في ربط الشرق الأدنى بحضارات آسيا الوسطى، وكانت طرق التجارة البرية والنهرية تمر عبرها⁸

ب - اقتصاد فارس

• **التجارة الواسعة:** مع تأسيس الإمبراطورية الأخمينية، توسعت شبكات التجارة بشكل كبير، وارتبطت طرق مثل الطريق الملكي الذي سهل حركة التجارة والرسائل عبر الإمبراطورية.

• **الزراعة:** ظلّت الزراعة أساس الاقتصاد، مع تطوير أنظمة ري متقدمة لاستغلال الأراضي الخصبة.

• **المعادن:** استغلت الفرس الثروات المعدنية الغنية في المنطقة، مثل الذهب والفضة والنحاس، وصنعت منها أدوات وأسلحة.

• **الضرائب:** فرض نظام ضريبي دقيق على الأراضي والمحاصيل والأنشطة التجارية، مما زاد من موارد الدولة المالية.

• **الصناعات:** تطورت الصناعات الحرفية بشكل كبير، ومنها صناعة النسيج، الفخار، والمعادن، والتي خدمت الأسواق الداخلية والخارجية⁹

هكذا كانتا حضارة فارس وعيلام من أبرز الحضارات التي شكلت نسيج التاريخ القديم في منطقة الشرق الأدنى. عيلام تميزت بالقدرة على بناء مدن متقدمة وامتلاك ديانة تعددية مع معماريتها العظيمة، في حين أن فارس أسست لنظام إمبراطوري متطور مع ديانة زرادشتية توحيدية واقتصاد قوي وشبكة إدارية متقدمة. هذه الحضارات لم تكن فقط محطات تاريخية، بل كانت أسسًا هامة لتطور الحضارات الإنسانية اللاحقة.

الهوامش:

- ¹ عبد الحميد زايد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2000، ص311-325.
- ² أحمد أمين سليم، تاريخ حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت: دار النهضة العربية، 1996، ص235-248.
- ³ حسن الظاهر، تاريخ فارس القديم، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992، ص80-110.
- ⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص311-325.
- ⁵ حسن الظاهر، المرجع السابق، ص80-110.
- ⁶ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص311-325.
- ⁷ حسن الظاهر، المرجع السابق، ص80-110.
- ⁸ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص235-248.
- ⁹ حسن الظاهر، المرجع السابق، ص80-110.

المحاضرة 09: حضارة سوريا القديمة: الحثيون وشعوب سوريا - المظهر السياسي

- المظهر الديني - الحياة الاقتصادية

تعد سوريا القديمة من أقدم المناطق التي شهدت ظهور حضارات متداخلة ومتنوعة، حيث نشأت فيها شعوب متعددة مثل الحثيين، الأموريين، الكنعانيين، والآراميين. شكلت هذه الشعوب لبنة تاريخية غنية تنوعت مظاهرها السياسية والدينية والاقتصادية، مما جعل سوريا نقطة التقاء حضارات كبرى في التاريخ القديم للشرق الأدنى¹.

- 1 الحثيون وشعوب سوريا: خلفية تاريخية وثقافية

أ - الحثيون

الحثيون كانوا شعباً هندو-أوروبياً بدأوا بالتوسع في الأناضول وجنوب سوريا في الألفية الثانية قبل الميلاد. أسسوا إمبراطورية قوية تميزت بالاحتراف العسكري والتنظيم الإداري. امتزجوا ثقافياً مع شعوب المنطقة لكن حافظوا على هويتهم اللغوية والدينية الخاصة².

ب - الشعوب السورية الأخرى

- **الأموريون:** كانوا من شعوب الشرق الأدنى الذين استقروا في مناطق شمال سوريا وجنوبها، حيث أنشأوا ممالك مدنية مستقلة مثل مملكة ماري.
- **الكنعانيون:** سكان المدن الساحلية والداخلية، اشتهروا بثقافتهم التجارية وبناء المدن الكبرى.

- الآراميون: استقروا في وسط سوريا وأسسوا ممالك ذات طابع قبلي لكنها متقدمة سياسياً وثقافياً³.

تفاعلت هذه الشعوب مع بعضها ومع القوى الكبرى المجاورة، مثل مصر القديمة، بابل، وآشور، مما شكل تركيبة اجتماعية وثقافية معقدة⁴.

2 - المظهر السياسي

أ - النظام السياسي الحثي

- الإمبراطورية الحثية كانت تتميز بنظام ملكي مركزي، حيث كان الملك يتربع على قمة الهرم السياسي والاجتماعي. لم يكن الملك مجرد حاكم بل يُنظر إليه كممثل الآلهة على الأرض، مما أعطاه سلطة دينية مدعمة. تميز الحكم الحثي بالآتي⁵:
- الهيكل الإداري: كانت الدولة مقسمة إلى ولايات تحكمها نبلاء مرتبطون بالملك مباشرة، وكان هناك جهاز إداري متطور يتعامل مع القضايا المدنية والعسكرية.
 - الجيش: قوة عسكرية ضخمة منظمة، تعتمد على العربات الحربية والفرسان، وكانت أداة رئيسية لتوسيع السيطرة وتأمين الحدود.
 - القانون: اعتمد الحثيون على قوانين مكتوبة تحكم العلاقات بين الأفراد والدولة، مع عقوبات رادعة للجرائم.

ب - الأنظمة السياسية لشعوب سوريا الأخرى

- **الأموريون:** كانوا يحكمون ممالك مستقلة ذات طابع فيدرالي، مع وجود ملك لكل مدينة رئيسة. كانت السلطة الملكية قوية لكنها محدودة ببعض المجالس النبلاء.
- **الكنعانيون:** النظام السياسي كان مبنياً على تحالفات بين المدن، حيث لكل مدينة ملكها الخاص، وكان هناك نوع من التعاون التجاري والسياسي.
- **الآراميون:** اعتمدوا نظام حكم هرمي يترأسه الملك، مدعوم بنخبة من كبار القبائل والمسؤولين الذين يشرفون على الجوانب الإدارية والاقتصادية⁶.

3 - المظهر الديني

أ - الدين الحثي

- الحثيون عبدوا مجموعة من الآلهة التي كانت تسيطر على جوانب مختلفة من الحياة، ومن أبرزها:⁷
- **إله العاصفة (تاني):** كان يمثل القوة والنصر العسكري، وحظي بمكانة مركزية في المعتقدات الحثية.
 - **الآلهة الأنثوية:** كانت تمثل الأمومة والخصوبة مثل الإلهة «هيباتا» التي لعبت دوراً مهماً في الطقوس الزراعية.

الطقوس الدينية تضمنت الاحتفالات الموسمية والذبائح، وكان للكهنة مكانة عالية في المجتمع، إذ كانوا مسؤولين عن التوسط بين الملك والآلهة، وضمان حماية الدولة من الكوارث.

ب - ديانات شعوب سوريا الأخرى

- الكنعانيون: عبدوا آلهة متعددة منها «بعل» إله المطر والرعد و«عشتار» إلهة الحب والحرب. كان لديهم معابد خاصة وأماكن مقدسة تعكس العلاقة بين الإنسان والطبيعة.
- الآراميون: كانت ديانتهم تشبه إلى حد ما الكنعانية مع بعض الاختلافات المحلية، وركزوا على عبادة آلهة مرتبطة بالخصوبة والسماء والأرض.
- الأموريون: كانوا يعبدون آلهة مشابهة، مع طقوس دينية تجمع بين الزراعة والحياة الاجتماعية والسياسية⁸.

4 - الحياة الاقتصادية

أ - الزراعة والموارد الطبيعية

سوريا القديمة كانت منطقة ذات موارد طبيعية غنية، حيث استغل سكانها نهر الفرات، والينابيع والأنهار الصغيرة لري الأراضي الزراعية. الزراعة كانت أساس الاقتصاد، وكانت تشمل:⁹

- زراعة الحبوب مثل القمح والشعير التي كانت الغذاء الرئيسي.
- زراعة الزيتون والعنب لإنتاج الزيت والخمور.

- تربية الحيوانات مثل الأغنام والماعز.

ب - الصناعة والحرف

شهدت سوريا القديمة تطوراً ملحوظاً في صناعات متنوعة، منها:¹⁰

- صناعة الفخار: التي كانت تُستخدم للتخزين والنقل، وتميزت بتصاميم فنية متطورة.
- الصناعات المعدنية: وخاصة صناعة الأسلحة والأدوات، حيث كان الحثيون مشهورين ببراعة صناعة الأدوات المعدنية المصقولة.
- النسيج: صناعة الأقمشة والملابس، وخاصة الصوف والكتان، مع وجود مراكز صناعية صغيرة في المدن.

ج - التجارة والتبادل التجاري

موقع سوريا الجغرافي كان محورياً تجارياً مهماً، حيث:¹¹

- ربطت طرق التجارة بين بلاد الرافدين، مصر، والبحر المتوسط.
- كانت المدن السورية مراكز تجارية نشطة تصدر المنتجات الزراعية والحرفية مثل الأخشاب والمعادن والأقمشة.
- ازدهرت تجارة البخور والعود، مما جعلها سلعة ثمينة تُتداول عبر مناطق واسعة.
- استفاد التجار من نظام ضرائب وتنظيم التجارة الذي فرضته الدول الحاكمة، مما ساهم في تعزيز الاقتصاد الوطني.

كانت حضارة سوريا القديمة نموذجًا غنيًا لتفاعل الحضارات والشعوب في الشرق الأدنى القديم. تميزت بنظام سياسي مركزي متنوع بين الحثيين وشعوب سوريا الأخرى، كما كانت دياناتها تعكس تعددية ثقافية عميقة ترتبط بحاجات المجتمع وتطلعاته. أما اقتصادها فقد اعتمد على زراعة متطورة، صناعات متقدمة، وشبكات تجارية واسعة. هذا التنوع والتداخل بين الشعوب والأفكار جعل من سوريا القديمة مركزًا حضاريًا متقدمًا له تأثير بعيد المدى على تاريخ المنطقة¹².

الهوامش:

- ¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الحرية، 1973، ص 156.
- ² أحمد سليم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2000، ص 89-95.
- ³ بيبير روسي، تاريخ سوريا القديم، ترجمة يوسف نجم، بيروت: دار الطليعة، 1997، ص 55-60.
- ⁴ طه باقر، المرجع السابق، ص 132-136.
- ⁵ أحمد سليم، المرجع السابق، ص 89-95.
- ⁶ خزعل الماجدي، الموسوعة التاريخية لبلاد الشام القديمة، بيروت: دار الرافدين، 2019، ص 144-150.
- ⁷ أحمد سليم، المرجع السابق، ص 89-95.
- ⁸ بيبير روسي، المرجع السابق، ص 55-60.
- ⁹ طه باقر، المرجع السابق، ص 132-136.
- ¹⁰ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 144-150.
- ¹¹ طه باقر، المرجع السابق، ص 132-136.
- ¹² أحمد سليم، المرجع السابق، ص 89-95.

المحاضرة 10: التوسع والمواجهة في جنوب غرب آسيا - الحروب الميديّة والنزاع

الفارسي-المصري

جنوب غرب آسيا، المعروف أيضًا بالمنطقة الهلال الخصيب، كان مسرحًا لصراعات كبرى في التاريخ القديم، نتيجة لموقعه الاستراتيجي بين قارتي آسيا وأفريقيا، واحتوائه على موارد طبيعية حيوية وطرق تجارية مهمة. شهدت هذه المنطقة تنافسًا محتدمًا بين قوى متعددة من بينها الميديون، الفرس، والمصريون. في هذه المحاضرة سنتناول بالتفصيل الحروب الميديّة وأثرها، ثم النزاع الفارسي-المصري الذي شكل نقطة محورية في تاريخ المنطقة¹.

1 - جنوب غرب آسيا وأهميتها الاستراتيجية

جنوب غرب آسيا هي منطقة جغرافية تمتد من تركيا وبلاد ما بين النهرين (العراق الحديث) مرورًا بإيران وصولًا إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وشمال مصر. تُعرف أيضًا بـ "الهلال الخصيب" بسبب خصوبة أراضيها ووفرة مواردها الزراعية، ما جعلها مهدًا للحضارات القديمة مثل السومرية، الأكادية، والبابلية².

أهم ما يميز هذه المنطقة هو موقعها الجغرافي الحيوي الذي يربط بين ثلاث قارات: آسيا، أفريقيا، وأوروبا. عبر هذه المنطقة تمر طرق التجارة القديمة التي تربط بين الشرق والغرب، مثل طريق الحرير القديم وطريق التوابل، مما جعل السيطرة عليها مسألة حاسمة لكل إمبراطورية تسعى للتوسع والنفوذ³.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه الأراضي غنية بالموارد الطبيعية والمياه، خصوصاً نهري دجلة والفرات، إضافة إلى نهر النيل في مصر المجاورة، ما جعلها هدفاً للعديد من الصراعات الإمبراطورية⁴.

2 - الحروب الميديّة

أ - خلفيّة الميديين

الميديون هم شعب إيراني قديم استقروا في شمال غرب إيران، تحديداً في منطقة أذربيجان الغربية الحالية. في القرن السابع قبل الميلاد، أسسوا إمبراطورية قوية عاصمتها إكباتانا (همدان حالياً) و، وحدوا القبائل الإيرانية المتفرقة، ولعبوا دوراً رئيسياً في سقوط الإمبراطورية الآشورية سنة 612 ق.م، التي كانت تسيطر على بلاد ما بين النهرين⁵.

ب - توسعات الميديين

تمكن الميديون من توسيع إمبراطوريتهم لتشمل مناطق واسعة من جنوب غرب آسيا، من آسيا الصغرى وحتى شمال العراق الحالي. دخلوا في نزاعات عديدة مع الإمبراطوريات المجاورة وخاصة آشور وبابل، وأضعفوا هيمنة آشور تدريجياً، مما مهد الطريق لصعود الفرس⁶.

ج - طبيعة الحروب

كانت الحروب الميديّة مزيجاً من النزاعات العسكرية المفتوحة والتحالفات السياسية بين الميديين وقوى أخرى. استخدم الميديون تكتيكات حرب العصابات والتحالفات القبلية

لكسر مقاومة الآشوريين، ونجحوا في توحيد عدة ممالك صغيرة تحت سلطتهم، خصوصًا خلال الفترة بين 670 - 600 ق.م.⁷

3 - النزاع الفارسي-المصري

أ - صعود الفرس

بعد الميديين، ظهر الفرس بقيادة كورش الكبير في منتصف القرن السادس قبل الميلاد حوالي 550 ق.م، وأسسوا إمبراطورية شاسعة ضمت معظم جنوب غرب آسيا، بما في ذلك بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى⁸.

ب - مصر في الفترة القديمة

كانت مصر في نفس الفترة، تحت حكم الأسرة السادسة والعشرين (الأسرة السعيدية) التي بدأت منذ 664 ق.م، التي سعت للحفاظ على استقلال مصر ورفضت الخضوع للنفوذ الأجنبي⁹. امتلكت مصر تاريخًا عريقًا وموارد هائلة، لا سيما نهر النيل الذي كان منبع الحياة والازدهار¹⁰.

ج - طبيعة النزاع

بدأ النزاع بسبب رغبة الفرس في السيطرة على مصر لتأمين حدود إمبراطوريتهم وتوسيع نفوذهم جنوبًا. قاوم المصريون الفرس بشدة، ووقعت عدة معارك في عهد الفرعون أخمون الثاني مابين 570 - 526 ق.م، وأبنه بسماتيك الذي واجه الغزو الفارسي في

معركة بلوزيوم سنة 525 ق.م، وانتهت بانتصار الفرس بقيادة قمبيز الثاني، وتمكن الفرس في عهد داريوس الأول من غزو مصر وضمها كإحدى محافظات إمبراطوريتهم¹¹.

د - مراحل النزاع

• مرحلة المقاومة المصرية، حاول الفراعنة تعزيز الجيش وتطوير استراتيجيات دفاعية لمواجهة التهديد الفارسي.

• الغزو الفارسي، تم في عهد داريوس الأول، حيث أصبحت مصر تحت الحكم الفارسي الرسمي، حتى مجيء الاسكندر المقدوني الأكبر عام 332 ق.م¹².

4 - أسباب النزاعات وأهدافها

• الموقع الاستراتيجي، جنوب غرب آسيا حلقة وصل بين آسيا، أفريقيا، وأوروبا، والسيطرة عليها تعني احتكار طرق التجارة بين هذه القارات¹³.

• الموارد الطبيعية، الأراضي الخصبة، الأنهار المهمة مثل دجلة، الفرات، والنيل، جعلت السيطرة عليها مطلبًا اقتصاديًا هامًا¹⁴.

• النفوذ السياسي والديني، الحكام في تلك الحقبة سعوا لتوسيع نفوذهم وتعزيز سلطتهم عبر السيطرة على هذه الأراضي الحيوية¹⁵.

5 - النتائج والتأثيرات

• سقوط الإمبراطورية الآشورية، سنة 612 ق.م بسبب توسع الميديين والتحالفات مع البابليين والفرس¹⁶.

- تأسيس الإمبراطورية الفارسية، التي أصبحت أكبر إمبراطورية في التاريخ القديم وقتها¹⁷.
 - ضم مصر إلى الإمبراطورية الفارسية، سنة 525 ق.م ما أثر على الثقافة والسياسة المصرية، وعزز من نفوذ الفرس في منطقة البحر الأبيض المتوسط¹⁸.
 - تمهيد صراعات أكبر، مثل الحروب اليونانية-الفارسية 490 - 479 ق.م لاحقاً، التي شكلت محوراً تاريخياً لاحقاً¹⁹.
 - تغيرات ديموغرافية وسياسية، نتجت عن حركة الشعوب وإعادة تشكيل الممالك²⁰.
- وهكذا كانت الفترة القديمة في جنوب غرب آسيا فترة تحولات كبرى، حيث شكلت الحروب الميدية والنزاع الفارسي-المصري نقاط تحول هامة في تاريخ المنطقة. هذه الصراعات لم تؤثر فقط على المصير السياسي لهذه الدول، بل أرست أسس التفاعل الثقافي والحضاري بين شعوب آسيا وأفريقيا وأوروبا. دراسة هذه الأحداث تعزز فهمنا لتطور الأنظمة السياسية القديمة وأثرها على مسار التاريخ²¹.

الهوامش:

- ¹ عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص21.
- ² طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الحرية، 1973، ص15.
- ³ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الحضارة المصرية القديمة، القاهرة: دار الفكر العربي، 2005، ص27.
- ⁴ أحمد فخري، مصر والشرق الأدنى القديم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1974، ص89.
- ⁵ محمد بيومي مهران، تاريخ إيران القديم، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1988، ص112.
- ⁶ نفسه، ص117.
- ⁷ عبد الله العسكر، حضارات الشرق الأدنى القديم، الرياض: دار العلوم، 2002، ص141.
- ⁸ كيرتس فورد، الإمبراطورية الفارسية، ترجمة أحمد خليل، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1991، ص78.
- ⁹ أحمد فخري، المرجع السابق، ص96.
- ¹⁰ نفسه، ص99.
- ¹¹ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص129.
- ¹² نفسه، ص134.
- ¹³ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص43.
- ¹⁴ طه باقر، المرجع السابق، ص78.
- ¹⁵ كمال الصليبي، تاريخ المشرق العربي القديم، بيروت: دار النهار، 1996، ص66.
- ¹⁶ عبد الله العسكر، المرجع السابق، ص149.
- ¹⁷ كيرتس فورد، المرجع السابق، ص85.
- ¹⁸ أحمد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة، 1989، ص34.
- ¹⁹ نفسه، ص36.
- ²⁰ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص105.
- ²¹ طه باقر، المرجع السابق، ص131.

المحاضرة 11: النزاع الفارسي-الإغريقي وحروب البيلوبونيز

يمثل كل من النزاع الفارسي-الإغريقي وحروب البيلوبونيز حلقة محورية في تاريخ اليونان القديمة، حيث يتقاطع فيه الصراع على السيطرة السياسية، والتنافس بين أنظمة حكم مختلفة، وصراع الحضارات والثقافات. هذان النزاعان ليسا مجرد معارك عسكرية بل هما انعكاس لتغيرات جذرية في العلاقات الدولية والداخلية، وأساسا لمنظومة جديدة من التحالفات والعداوات التي ستؤثر على تاريخ أوروبا والبحر المتوسط¹.

1 - النزاع الفارسي-الإغريقي (499-449 ق.م)

أ - الخلفية الجغرافية والسياسية

كانت آسيا الصغرى (الأناضول اليوم) منطقة استراتيجية شديدة الأهمية، بها عدد من المدن اليونانية التي أقيمت كمدن-مستعمرات (مثل ميليتوس، إريتريه، وإفسوس) على الساحل، وكانت خاضعة لحكم الإمبراطورية الفارسية القوية². توسع الفرس بقيادة داريوس الأول جعلهم يتحكمون في معظم الشرق الأدنى، وبدأوا بالتوسع نحو الغرب، حيث تضمنت مناطق سيطرتهم مدناً يونانية وأراضي مستعمرة، ما أثار القلق والرفض من جانب اليونانيين هناك³.

ب - التمرد الأيوني وأسبابه

كان التمرد الأيوني شرارة البداية، حيث قررت مدن آسيا الصغرى رفض السيطرة الفارسية، وطلبت الدعم من المدن اليونانية في البر الرئيسي⁴. أثينا وإريتريه كانتا أولى

المدن التي استجابت وشاركت في دعم التمرد، عبر إرسال قوات بحرية. التمرد كان مدفوعاً بالرغبة في الاستقلال السياسي، وإرادة الحفاظ على أنماط الحياة اليونانية في المدن المستعمرة، إلى جانب مصالح اقتصادية⁵.

ج - الحملات الفارسية على اليونان

- **الحملة الأولى (492-490 ق.م):** بدأها داريوس بهدف قمع التمرد ومعاينة أثينا على دعمها للثوار. في هذه الحملة، جرت معركة ماراثون الشهيرة عام 490 ق.م، حيث استخدم الجيش الأثيني تكتيكات ذكية وهزم الفرس رغم التفوق العددي الفارسي. هذه المعركة كانت رمزاً للروح القتالية اليونانية وأثرت على الوعي الوطني⁶.
- **الحملة الثانية (480-479 ق.م):** استعد الملك زركسيس لغزو اليونان بجيش ضخم وجيش بحري هائل. تمكن الفرس من احتلال أثينا وأجزاء واسعة من البر الرئيسي، لكن الأثينيين انسحبوا إلى سالاميس، حيث تمكن الأسطول اليوناني بقيادة ثيمستوكليس من تحقيق نصر بحري حاسم في معركة سالاميس⁷. في نفس الوقت، حررت قوات الحلفاء اليونانيين البر اليوناني في معركة بلاتيا⁸.

د - الأبعاد العسكرية

تميز النزاع الفارسي-الإغريقي باستخدام القوات البرية والبحرية بشكل متكامل، وبرز دور التكتيكات الحربية اليونانية في تحقيق انتصارات رغم الفارق العددي⁹. كما أن النزاع أظهر أهمية التحالفات بين المدن اليونانية، مما شكل نواة لتعاون مشترك في المستقبل.

هـ - الأثر السياسي والثقافي

- على المستوى السياسي، أوجدت هذه الحرب نظام تحالف ديلوس الذي كان بقيادة أثينا، وعززت مكانة أثينا كقوة بحرية وإقليمية¹⁰.
- على المستوى الثقافي، عززت الحرب الشعور بالوحدة والتميز اليوناني، وبرزت مفاهيم الهوية الوطنية والفخر الحضاري.
- كما ترك النزاع أثراً كبيراً في الأدب والفلسفة والفنون اليونانية، حيث تناول المؤرخون والمفكرون هذه المرحلة كرمز للحرية والمقاومة¹¹.

2 - حروب البيلوبونيز (431-404 ق.م)

أ - الخلفية السياسية والاجتماعية

- بعد هزيمة الفرس، كانت أثينا وإسبرطة أكثر قوتين في العالم اليوناني¹². أثينا استثمرت قوتها البحرية في إقامة إمبراطورية بحرية عبر تحالف ديلوس، بينما ظلت إسبرطة محافظة على نظامها العسكري والبري الصارم. تصاعد التوتر بين النظامين المختلفين، إذ رأت إسبرطة توسع أثينا تهديداً مباشراً لأمنها ونفوذها¹³.

ب - أسباب الصراع

- الهيمنة والنفوذ: رغبة أثينا في التوسع البحري والسياسي وصعودها كقوة إقليمية، مقابل رغبة إسبرطة في الحفاظ على النظام القديم والسيطرة البرية.

- النزاعات الإقليمية :العديد من المدن الصغيرة كانت على طرفي النزاع، مما أشعل الحروب المحلية التي سرعان ما تحولت إلى صراع شامل.
- الخلافات السياسية :ديمقراطية أثينا ونظام إسبرطة الأريستقراطي العسكري كانا يتنافسان على المشروعية والقوة.
- الأزمات الاقتصادية والاجتماعية :أثينا عانت من مشاكل داخلية مرتبطة بالتوسع، بينما إسبرطة كانت تسعى لتثبيت نظامها الاجتماعي¹⁴.

ج - مجريات الحرب

- المرحلة الأولى (431-421 ق.م): بدأت الحرب بحصار إسبرطي لأثينا، التي اعتمدت على قوتها البحرية للتزود بالغذاء. عرفت هذه المرحلة اندلاع الأوبئة في أثينا، والتي أضعفتها بشدة. انتهت هذه المرحلة بوقف إطلاق نار مؤقت (هدنة نيقيا).
- المرحلة الثانية (415-413 ق.م): أثينا قامت بحملة عسكرية كبيرة على مدينة سيراكيوز في صقلية، والتي انتهت بكارثة كبيرة لسفن وأفراد أثينا. هذه الحملة أضعفت من قدرات أثينا العسكرية والمالية¹⁵.
- المرحلة الأخيرة (412-404 ق.م): تدخلت الإمبراطورية الفارسية لدعم إسبرطة مالياً وبحرياً، ما مكن إسبرطة من بناء أسطول بحري منافس. توالى الهزائم على أثينا حتى استسلمت في 404 ق.م، وتم فرض نظام حكم أرستقراطي بدعم إسبرطي¹⁶.

د - الأبعاد العسكرية والفنية

- الحرب شهدت تطوراً في التكتيكات البحرية والبرية، حيث استخدمت الأساطيل بشكل مكثف.

- الاستخدام المكثف للحصار والعمليات الحربية في المدن والجزر.

- توسع استخدام الحرب النفسية والدبلوماسية والتحالفات¹⁷.

هـ - النتائج والتداعيات

- انهيار الإمبراطورية الأثينية وتراجع الديمقراطية، وتحول السلطة إلى طبقة أرستقراطية.
- صعود إسبرطة كقوة إقليمية لكنه لم تستمر طويلاً.
- إضعاف المدن اليونانية عموماً، مما أدى إلى هشاشة النظام السياسي وجعلها عرضة للتدخلات الخارجية، خاصة من مقدونيا¹⁸.

و - التأثير الاجتماعي والثقافي

- الحرب أضعفت النسيج الاجتماعي والاقتصادي في اليونان، وخلقت أزمة في الثقة بين المدن.
- تأثرت الفنون والفلسفة، حيث ظهرت حركة تشاؤمية ونقدية للحروب والتنافس السياسي.
- شهدت هذه الفترة نشاطات فكرية وفلسفية بارزة، مثل أعمال سقراط التي تناقش الأخلاق والسياسة في ظل الفوضى¹⁹.

ويمكن القول في الأخير ان كل من النزاع الفارسي-الإغريقي وحروب البيلوبونيز يبرزان كيف أن الصراعات العسكرية والسياسية يمكن أن تعيد تشكيل مصير الأمم. في حين أن النزاع مع الفرس كان معركة من أجل الحفاظ على الحرية والسيادة ضد قوة إمبراطورية هائلة، كانت حروب البيلوبونيز صراعاً داخلياً بين نظم وأفكار مختلفة داخل العالم اليوناني نفسه. كلا النزاعين أظهرتا قوة التغيير وأهمية السياسة والتحالفات، كما مهّدتا الطريق لظهور قوى جديدة مثل مقدونيا، التي ستقود لاحقاً عصر الإسكندر الأكبر وتوسع الحضارة اليونانية خارج حدودها التقليدية²⁰.

الهوامش:

- ¹ عبد الحليم عويس، في التاريخ والحضارة: دراسات ونصوص، القاهرة: دار الصحوة، 2005، ص 88 .
- ² محمد جمال طحان، تاريخ اليونان القديم، دمشق: دار دمشق، 2004، ص 95.
- ³ حسن ظاظا، تاريخ الحضارات القديمة، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992، ص 111.
- ⁴ يوسف حسين، تاريخ أوروبا في العصور القديمة، بيروت: دار النهضة العربية، 1996، ص 67.
- ⁵ نفسه، ص 69.
- ⁶ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 91.
- ⁷ محمد طحان، المرجع السابق، ص 104.
- ⁸ نفسه، ص 108.
- ⁹ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 93.
- ¹⁰ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الحرية، 1986، ج1، ص 284.
- ¹¹ نفسه، ص 214.
- ¹² حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 118.
- ¹³ محمد طحان، المرجع السابق، ص 115.
- ¹⁴ يوسف حسين، المرجع السابق، ص 74.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 77.
- ¹⁶ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 97.
- ¹⁷ طه باقر، المرجع السابق، ص 219.
- ¹⁸ حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 123.
- ¹⁹ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 100.
- ²⁰ يوسف حسين، المرجع السابق، ص 81.

المحاضرة 12: حضارة مصر الفرعونية: النشأة - التطور - الانهيار

تعد حضارة مصر الفرعونية من أقدم الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ، وامتدت لأكثر من ثلاثة آلاف عام على ضفاف نهر النيل. وتتميز هذه الحضارة بكونها نموذجًا فريدًا لتفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية، حيث تمكن المصريون القدماء من بناء مجتمع حضاري متكامل يجمع بين النظام السياسي الديني والاقتصادي والثقافي، مستفيدين من موقعهم الجغرافي ومواردهم الطبيعية. كما أن تنظيمهم الاجتماعي والديني ساهم في استقرار الدولة وتعزيز سلطتها، مما جعل مصر إحدى المراكز الحضارية الكبرى في العالم القديم¹. سنتناول في هذه المحاضرة دراسة شاملة حول نشأة هذه الحضارة، مراحل تطورها، والعوامل التي أدت إلى انهيارها التدريجي.

1 - النشأة

أ - الموقع الجغرافي ودور نهر النيل

تقع مصر الفرعونية في شمال شرق إفريقيا وتمتد على طول وادي نهر النيل، الذي يشكل شريان الحياة فيها. نهر النيل هو أطول نهر في العالم، ويتميز بدور محوري في توفير الحياة والزراعة عبر فيضانه السنوي الذي يغمر الأراضي المحيطة به بطمي خصب. هذه الطبيعة الفريدة للنيل جعلت من الممكن إقامة حضارة زراعية مستدامة وسط بيئة صحراوية قاسية.

أدى النيل إلى ظهور طرق نقل طبيعية ساعدت في توحيد البلاد وتطوير التجارة الداخلية والخارجية، كما شكل النيل محورًا للحياة الدينية والفكرية، حيث كان يُنظر إليه كهدية إلهية².

ب - فترة ما قبل الأسرات (حوالي 5000 - 3100 ق.م)

شهدت هذه الفترة بداية استقرار المجتمعات الزراعية على ضفاف النيل، حيث بدأ الإنسان المصري في استصلاح الأرض وزراعة الحبوب الأساسية مثل القمح والشعير. تميزت هذه الحقبة بظهور أدوات حجرية متطورة، ونظم بدائية للري، مع بداية ظهور قنوات المياه لجلبها إلى الأراضي البعيدة عن النهر.

بدأت تظهر مظاهر التنظيم الاجتماعي والديني مع ظهور قبائل صغيرة، وظهرت أولى التجمعات السكانية التي تركزت حول الزراعة وصيد الأسماك. كما تم تطوير الفخار والنسيج، إضافة إلى تقنيات صنع الأدوات الحجرية، مما ساعد في بناء مجتمع أكثر استقرارًا وتعاونًا³.

ج - توحيد مصر (حوالي 3100 ق.م)

شهدت هذه المرحلة توحيد مصر العليا (الجنوبية) ومصر السفلى (الشمالية) تحت حكم ملك واحد هو الملك نارمر (أو مينا)، الذي يعد مؤسس الأسرة الأولى. مثل هذا التوحيد بداية لظهور الدولة المصرية الفرعونية بشكلها السياسي والإداري المركزي.

اعتمدت الدولة على نظام حكم مركزي قوي بقيادة الفرعون، الذي كان يُعتبر إلهًا حيًا يحكم الأرض بوحى من الآلهة، وهذا الدمج بين السلطة الدينية والسياسية عزز من تماسك الدولة.

تم تطوير نظام الكتابة الهيروغليفية، الذي أصبح أداة هامة لتوثيق الأحداث الإدارية والدينية، مما ساعد في إدارة الدولة وتنظيم المجتمع بشكل أكثر دقة⁴.

2 - مراحل تطور الحضارة الفرعونية

أ - الدولة القديمة (2686 - 2181 ق.م)

شهدت هذه الفترة تأسيس الدولة المركزية بشكل كامل وترسيخ سلطة الفرعون كملك إلهي، حيث كان يُعتقد أن الفرعون وسيط بين الآلهة والبشر. تم تطوير نظم الري والزراعة مما أدى إلى استقرار الإنتاج الغذائي وزيادة الثروة. تميزت هذه الحقبة ببناء الأهرامات الكبرى مثل أهرامات الجيزة، التي تمثل إنجازًا هندسيًا ومعماريًا غير مسبوق، حيث استخدمت كمقابر ملكية تعبر عن القوة الدينية والسياسية للفرعون.

تبلورت الطبقات الاجتماعية بشكل واضح، من الفرعون والكهنة والنبلاء، إلى الكتبة والحرفيين، ثم الفلاحين والعبيد، مع وجود تفاعل بين هذه الطبقات في إطار مجتمع هرمي.

تم توثيق الحياة اليومية والدينية من خلال الكتابة الهيروغليفية، التي ساعدت في حفظ المعرفة والنظم الإدارية⁵.

- فترة الانتقال الأول (2181 - 2055 ق.م)

تعتبر هذه المرحلة فترة اضطراب وفوضى، حيث ضعف النظام المركزي وتفككت السلطة إلى دويلات محلية صغيرة.

أدى هذا الانقسام إلى تراجع في الإنتاج الاقتصادي وزيادة الصراعات الداخلية بين النبلاء والأقاليم.

ترافق ذلك مع ضعف في السيطرة على الموارد، وظهور تمردات شعبية أدت إلى اضطراب الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

لكن رغم ذلك، كانت هناك استمرار في بعض مظاهر الحضارة مثل الفنون المحلية وتقاليد الزراعة⁶.

ب - الدولة الوسطى (2055 - 1650 ق.م)

تم استعادة وحدة مصر على يد الأسرة الحادية عشر في طيبة، وتم تأسيس دولة مركزية أكثر تنظيماً وقوة.

شهدت هذه المرحلة تطويراً كبيراً في نظم الري واستصلاح الأراضي الزراعية، ما أدى إلى زيادة الإنتاج وتحسين الاستقرار الغذائي.

توسعت العلاقات التجارية مع دول الجوار مثل النوبة وليبيا وسيناء، مما أسهم في إثراء الاقتصاد المصري وتبادل الثقافات.

شهدت الفنون والأدب ازدهارًا ملحوظًا، حيث ظهرت نصوص أدبية تتناول قضايا إنسانية وأخلاقية، إضافة إلى تطور الفنون التشكيلية والنحت.

عرفت هذه الحقبة استقرارًا نسبيًا ومساهمات كبيرة في البناء العمراني والإداري⁷.

- فترة الانتقال الثاني (1650 - 1550 ق.م)

شهدت مصر خلال هذه الفترة غزو الهكسوس من آسيا الغربية، الذين استولوا على دلتا النيل الشمالية.

استخدم الهكسوس تقنيات عسكرية متقدمة، مثل العربات الحربية والأسلحة الحديدية، مما أعطاهم تفوقًا عسكريًا على المصريين.

سيطر الهكسوس على السلطة في الجزء الشمالي من مصر لفترة طويلة، بينما استمرت الأسرة المصرية في الجنوب، ما أدى إلى انقسام الدولة مجددًا.

هذه الفترة شكلت تحديًا كبيرًا للمصريين، الذين بدأوا لاحقًا في التخطيط لطردهم من البلاد⁸.

ج - الدولة الحديثة (1550 - 1070 ق.م)

بعد طرد الهكسوس، شهدت مصر مرحلة ازدهار جديدة تحت حكم الأسرة الثامنة عشر، حيث أعيد توحيد البلاد واستعادة السيطرة الكاملة.

تمت توسعة الإمبراطورية المصرية لتشمل أراضي واسعة في الشرق الأدنى، مثل فلسطين وسوريا، مما أتاح فرصًا للتجارة والهيمنة السياسية.

برزت خلال هذه الفترة شخصيات تاريخية عظيمة مثل تحتمس الثالث، أمنحتب الثالث، ورمسيس الثاني، الذين قاموا بمشاريع معمارية ضخمة وأساطير دينية مهمة. شيدت المعابد الكبرى مثل معبد الكرنك والأقصر، التي أصبحت مراكز دينية وسياسية هامة.

شهدت هذه المرحلة محاولات إصلاح ديني بقيادة أمنحتب الرابع (أخناتون)، الذي دعا لعبادة إله واحد هو آتون، ما أدى إلى صراع ديني كبير وعودة لاحقة للديانات التقليدية.

كما ازدهرت العلوم والطب والهندسة والفنون، وظهرت مكاتب ومدارس تعكس ارتفاع مستوى المعرفة⁹.

د - الدولة المتأخرة (1070 - 332 ق.م)

تميزت هذه المرحلة بضعف السلطة المركزية نتيجة لصراعات داخلية وحركات تمرد متكررة.

تعرضت مصر لغزوات متكررة من شعوب مثل الليبيين والنوبة، وأخيرًا غزوات الإمبراطوريات الآشورية والفارسية.

أدى هذا الانهيار السياسي إلى تحولات كبيرة في أساليب الحكم والإدارة، مع بروز نفوذ الأجانب داخل البلاد.

شهدت مصر دخولها تحت الحكم الأجنبي، بداية بالاحتلال الإغريقي بقيادة الإسكندر الأكبر، ثم فترة حكم البطالمة الذين أسسوا دولة مستدامة حتى الفتح الروماني¹⁰.

3 - أسباب الانهيار

أ - أسباب داخلية

أدى الصراع بين الطبقات الحاكمة، وضعف النظام الإداري المركزي، إلى تراجع في كفاءة الحكم.

انتشار الفساد الإداري وتراجع في نظم الري الزراعي أدّى إلى تدهور الإنتاج الاقتصادي.

ظهور تمردات شعبية وصراعات على السلطة أضعفت الاستقرار الداخلي¹¹.

ب - الغزوات الخارجية وتأثيرها

تعرضت مصر لهجمات متكررة من شعوب الهكسوس، الليبيين، والنوبة، إضافة إلى الغزوات الآشورية والفارسية.

كل غزو أثر على وحدة البلاد واستقرارها، وأدى إلى فرض نفوذ خارجي على الحكم المحلي.

الاحتلال الإغريقي والروماني أنهى عصر الفراعنة ككيان سياسي مستقل¹².

ج - التغيرات الدينية والثقافية

مع انتشار المسيحية في مصر، بدأت الأديان الوثنية القديمة تفقد تأثيرها تدريجيًا. تم إغلاق المعابد الفرعونية، وبدأت التقاليد الدينية القديمة في الاندثار، مما أدى إلى تغير جذري في المشهد الثقافي والديني.

رغم ذلك، استمرت بعض العادات والتقاليد الشعبية التي حافظت على جزء من الهوية المصرية القديمة¹³.

هكذا تعتبر حضارة مصر الفرعونية نموذجًا فريدًا في تاريخ الحضارات الإنسانية، حيث تمكن المصريون القدماء من بناء دولة قوية ومتطورة استندت إلى نظام سياسي ديني متكامل. عبر مراحل متعددة، واجهت مصر تحديات داخلية وخارجية أدت إلى تراجعها، إلا أن إرثها الحضاري والثقافي ظل حاضرًا عبر التاريخ، مؤثرًا في الحضارات اللاحقة ومصدر إلهام للدراسات التاريخية والإنسانية.

الهوامش:

- ¹ توبي ويلكينسون، صعود الفراعنة وسقوطهم، ترجمة أحمد زكي أحمد (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2021)، ص. 25.
- ² إيان شو، تاريخ أكسفورد لمصر القديمة، ترجمة ممدوح الرفاعي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2017)، ص. 20-15.
- ³ كاثرين أ. بارد، مقدمة في آثار مصر القديمة (مالدن: بلاكويل للنشر، 2008)، ص. 80-85.
- ⁴ نيكولا غريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011)، ص. 55-60.
- ⁵ توبي ويلكينسون، المرجع السابق، ص. 100-110.
- ⁶ إيان شوالمرجع السابق، ص. 195-200.
- ⁷ نيكولا غريمال، المرجع السابق، ص. 150-155.
- ⁸ روزالي ديفيد، دليل الحياة في مصر القديمة (نيويورك: فاكس أون فايل، 1998)، ص. 30-35.
- ⁹ توبي ويلكينسون، المرجع السابق، ص. 280-300.
- ¹⁰ إيان شو، المرجع السابق، ص. 350-360.
- ¹¹ نيكولا غريمال، المرجع السابق، ص. 400-405.
- ¹² روزالي ديفيد، المرجع السابق، ص. 250-255.
- ¹³ كاثرين أ. بارد، المرجع السابق، ص. 380-385.

المحاضرة 13: الحضارة المصرية القديمة

- نظام الحكم - الدين والكهنوت - الجيش - الاقتصاد في مصر الفرعونية

تميّزت مصر الفرعونية بحضارة عريقة امتدت آلاف السنين، وشكّلت نموذجًا للدولة القديمة المركزية القوية. وقد تأسست هذه الدولة على عدة ركائز متكاملة، أهمها: النظام السياسي الذي تمثله سلطة الفرعون، والنظام الديني القائم على الكهنوت وتقديس الحاكم، إضافة إلى مؤسسة عسكرية متطورة واقتصاد زراعي وتجاري مرّن. تسعى هذه المحاضرة إلى تحليل هذه الأسس وعلاقتها ببنية الدولة واستقرارها واستمراريتها¹.

1 - نظام الحكم في مصر الفرعونية

أ - السلطة الملكية

كان الفرعون يجمع بين سلطتي الحكم والدين، ويُعتبر تجسيدًا حيًا للإله على الأرض. وقد منحت هذه العقيدة الحاكم قدسية جعلت قراراته لا تُرد، وأضفت على النظام السياسي طابعًا دينيًا مطلقًا². وقد تركز هذا المفهوم في جميع العصور الفرعونية، مما عزز من هيبة السلطة واستمراريتها³.

ب - الإدارة المركزية والبيروقراطية

اتسمت الدولة الفرعونية بنظام إداري دقيق ومركزي، يقوده الوزير الذي يُعدّ اليد اليمنى للفرعون، ويشرف على جميع القطاعات. أسندت المهام الإدارية إلى شبكة من

الكتابة وحكام الأقاليم، الذين كانوا مسؤولين عن جباية الضرائب وتنفيذ التعليمات الملكية. وشكلت الكتابة الهيروغليفية أداة أساسية في إدارة الدولة⁴.

ج - خصائص النظام السياسي

تميز الحكم بالوراثة في إطار من الاستقرار النسبي. وقد فرضت الدولة المركزية سلطتها على جميع الأقاليم، مع السماح بهامش من الإدارة المحلية. وكان التداخل بين الحكم والدين أحد أهم السمات التي ضمنت خضوع الرعية وانضباطهم⁵.

2 - الدين والكهنوت

أ - العقيدة الدينية

اعتنق المصريون القدماء ديانة متعددة الآلهة، ومن أبرز الآلهة: رع، أوزيريس، إيزيس، حورس. وقد ارتبط كل إله بمجال من مجالات الحياة، كالخلق، والخصب، والبعث، والنظام الكوني. وكان الاعتقاد بالحياة بعد الموت محوراً جوهرياً في العقيدة⁶.

ب - دور الكهنة وتنظيم المعابد

كان الكهنة يمثلون النخبة الدينية والعلمية، ولعبوا دوراً مهماً في الطقوس والمواسم، وفي تفسير الإرادة الإلهية. امتلكت المعابد أراضي زراعية ضخمة، وكانت تُدار كمؤسسات اقتصادية مستقلة⁷. وقد ساهم نفوذ الكهنة أحياناً في التأثير على السلطة الملكية، خصوصاً في عصور ضعف الدولة المركزية⁸.

ج - العلاقة بين الدين والحكم

كان الدين أداة فعالة في تثبيت الحكم، حيث اعتُبر الفرعون إلهًا أو ابنًا للإله، مما جعل طاعته واجبًا دينيًا. وقد استُخدمت الطقوس والمناسبات الدينية لتكريس شرعية الحكم، كما شُيدت المعابد الضخمة لتكون رموزًا للسلطة الإلهية والملكية معًا⁹.

3 - الجيش في مصر الفرعونية

أ - نشأة الجيش وتطوره

بدأ الجيش في صورة ميليشيات شعبية تُجنّد عند الحاجة، ثم تطوّر مع بداية الدولة الوسطى إلى مؤسسة نظامية لها قياداتها وتسليحها وتدريبها. وبلغت المؤسسة العسكرية ذروتها في الدولة الحديثة، حيث ظهرت فرق المحاربين المحترفين واستخدام العربات الحربية¹⁰.

ب - مكونات الجيش

تألّف الجيش من المشاة، ورماة السهام، وسلاح المركبات الحربية. وتم تدريب الجنود على القتال المنظم، كما تطور السلاح من الخشب إلى البرونز. وكان الجيش يتبع إدارة مركزية تشرف على شؤونه وتمويله¹¹.

ج - المهام العسكرية

تولى الجيش مهام الدفاع عن حدود الدولة، وقمع الثورات، وتأمين طرق التجارة، كما شارك في التوسعات العسكرية في بلاد الشام والنوبة. وأسهمت الفتوحات في جلب الغنائم والعمال والمواد الخام، مما ساعد في دعم الاقتصاد الملكي¹².

4 - الاقتصاد في مصر الفرعونية

أ - الزراعة

شكلت الزراعة أساس الاقتصاد، واستفادت من فيضان نهر النيل الذي سمح بزراعة القمح والشعير والكتان. وقد أنشئت شبكة متقنة من القنوات والترع. واعتمد النظام الزراعي على العمل الجماعي والضرائب العينية المفروضة على الفلاحين¹³.

ب - التجارة

نشطت التجارة الداخلية والخارجية، حيث كانت القوافل تتجه إلى النوبة وبلاد بونت وسيناء لجلب الذهب والعاج والبخور والنحاس. وتم تبادل هذه المواد مقابل المنتجات المصرية مثل الحبوب والكتان والفخار¹⁴.

ج - الصناعة

عرف المصريون صناعات عديدة منها النسيج، والفخار، وصياغة المعادن، والعطور، والزجاج. وكانت هذه الصناعات مزدهرة بفضل وفرة الموارد الطبيعية والتنظيم الحرفي العالي في المدن والمعابد¹⁵.

د - نظام التبادل الاقتصادي

قبل إدخال النقود، اعتمد المصريون على المقايضة ووحدات تقدير مثل "الدين" في قياس القيم. كما استُخدمت الحبوب كوسيلة لدفع الأجور وتسوية المعاملات، وكان للمعابد دور محوري في هذا النظام باعتبارها مخازن ومراكز للتوزيع الاقتصادي¹⁶.

إن دراسة نظام الحكم والدين والجيش والاقتصاد في مصر الفرعونية تكشف عن حضارة متكاملة، استطاعت أن توظف مواردها البشرية والطبيعية لصالح بناء دولة قوية ودائمة. وقد كانت العلاقة الوثيقة بين الدين والسلطة، والتنظيم الإداري الدقيق، والتطور العسكري، والنشاط الاقتصادي المتنوع، من العوامل الأساسية التي أسهمت في ازدهار الحضارة الفرعونية واستمرارها لقرون طويلة¹⁷.

-
- ¹ Toby Wilkinson, *The Rise and Fall of Ancient Egypt*, Random House, 2010, p 4.
- ² Ibid, p22.
- ³ James H. Breasted, *Development of Religion and Thought in Ancient Egypt*, Harper, 1912, p 15
- ⁴ Ibid, p44.
- ⁵ Toby Wilkinson (ed.), *The Egyptian World*, Routledge, 2007, p 93.
- ⁶ Ibid, p191.
- ⁷ James Henry Breasted, *Ancient Records of Egypt*, Vol. 2, University of Chicago Press, 1906, p 231.
- ⁸ Ibid, p235.
- ⁹ Breasted, *Development of Religion*, op cit, p 100
- ¹⁰ Wilkinson, *The Rise and Fall*, op cit, p 197
- ¹¹ Ibid, p202.
- ¹² Ibid, p210.
- ¹³ Breasted, *Ancient Records*, Vol. 3, op cit, p 151.
- ¹⁴ Wilkinson, *The Egyptian World*, op cit, p 221.
- ¹⁵ Ibid, p226.
- ¹⁶ Ibid, p229.
- ¹⁷ Ibid, p237.

المحاضرة 14: الحضارة العربية قبل الإسلام: الحياة السياسية لدول الجنوب

(معين - قتبان - سبأ - حمير)

شكلت منطقة جنوب الجزيرة العربية، وتحديدًا اليمن القديم، مهدًا لحضارات مزدهرة تميزت بتنظيم سياسي متقدم قياسًا بالمجتمعات القبلية في سائر أنحاء الجزيرة. وقد أفرزت هذه المنطقة عدة ممالك كان لها تأثير واضح في تاريخ العرب قبل الإسلام، أبرزها : **معين، قتبان، سبأ، وحمير**. وقد تميزت هذه الدول بنظم سياسية ذات طابع ملكي أو شبه ملكي، وبمؤسسات اجتماعية وأمنية متقدمة نسبيًا، تعكس وجود تقاليد مدنية متطورة قامت على أساس قبلي في الأصل، لكنها تطورت مع الزمن بفعل التجارة والاحتكاك بالحضارات الأخرى كالحبشة ومصر وبلاد فارس¹.

إن فهم النظم السياسية لهذه الدول لا يتوقف فقط عند تحليل أشكال الحكم وألقاب الملوك، بل يتعدى ذلك إلى دراسة علاقاتها الداخلية ببنيتها الاجتماعية والقبلية، وإدارتها لشؤونها الاقتصادية، وعلاقاتها الخارجية القائمة على التجارة والتحالف أو الصراع².

1 - مملكة معين

أ - النشأة والخصائص العامة

قامت مملكة معين في أقصى شمال اليمن القديم، قرب الجوف، وظهرت بوادر نشأتها منذ القرن الرابع قبل الميلاد حوالي 400 ق.م، وقد ارتبط قيامها بتطور النشاط التجاري في المنطقة، خصوصًا عبر طريق البخور الذي كان يربط جنوب الجزيرة بشمالها

مرورًا بالحجاز، وصولًا إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين. وكانت معين دولة تجارية بامتياز، واتخذت من "قرناو" عاصمة لها³.

ب - النظام السياسي والإداري

اتسم النظام السياسي في معين بوجود ملك يحكم الدولة، يحمل لقب "ملك معين"، وتوارثت الحكم أسر ملكية متعاقبة. غير أن السلطة لم تكن استبدادية خالصة، بل أظهرت النقوش القديمة دورًا لهيئة استشارية من زعماء القبائل، كانت تشارك في إقرار بعض القرارات الكبرى مثل المعاهدات وفرض الضرائب.

كما تميزت مملكة معين بتنظيم إداري قوي نسبيًا، حيث أنشئت محطات مراقبة وقلاع على طول الطريق التجاري لحماية القوافل، كما وُجد موظفون محليون لإدارة الضرائب وتأمين الطرق⁴.

ج - العلاقات الخارجية والدور الإقليمي

برعت معين في استثمار موقعها الجغرافي لخدمة التجارة، وسعت إلى بسط نفوذها على بعض المناطق القريبة من ديدان والحجاز، حتى بلغ نفوذها شمال الحجاز. وقد تجنبت الحروب المباشرة، وفضلت إنشاء نقاط تجارية ومراكز نفوذ خاضعة لها ضمن إطار علاقات اقتصادية محضة. ولم تترك معين إرثًا عسكريًا بارزًا، لكن نفوذها الاقتصادي جعلها فاعلاً سياسيًا محترمًا في جنوب الجزيرة⁵.

2 - مملكة قتبان

أ - النشأة والموقع الجغرافي

ظهرت مملكة قتبان بعد معين، في القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً، واتخذت من منطقة "تمنع" عاصمة لها، وهي تقع جنوب مملكة سبأ، في منطقة كانت غنية زراعياً وتجارياً. وقد أسهم موقعها القريب من مناطق إنتاج اللبان في تعزيز مكانتها التجارية في الجزيرة، مما أدى إلى نشوء قوة سياسية كبيرة استمرت قروناً⁶.

ب - نظام الحكم

كان النظام السياسي في قتبان ملكياً، حيث تولى الملوك السلطة المطلقة، مع لقب "ملك قتبان". وقد أظهرت النقوش أن الحكم كان يمارس باسم الإله القومي "عم"، ما يعكس تداخلاً وثيقاً بين السلطة الدينية والسياسية، إذ لعب الكهنة دوراً كبيراً في شرعنة السلطة. كانت الدولة تدار عبر جهاز بيروقراطي منظم، اعتمد على الولاة المحليين في الأقاليم، وعلى وجود حرس ملكي ومسؤولين عن الأمن ومراقبة الضرائب⁷.

ج - الدور السياسي والتحالفات

دخلت قتبان في منافسات عنيفة مع سبأ في بعض الفترات للسيطرة على طرق التجارة، كما عرفت فترات من التحالف مع مملكة حضرموت المجاورة. وتدل الشواهد الأثرية على أن قتبان كانت أكثر ميلاً لاستخدام القوة في إدارة علاقاتها الخارجية مقارنة بمعين⁸.

وقد تميزت قنبان بمحاولات لتوسيع نفوذها الجغرافي، لكن توسعها كان محدودًا، ربما

بفعل قوة سبأ وحمير لاحقًا.

3 - مملكة سبأ

أ - النشأة والتطور

تعد مملكة سبأ من أعرق الممالك اليمنية، وظهرت في الألف الأول قبل الميلاد، حوالي 950 ق.م، وامتدت إلى حدود القرن الثالث الميلادي. وكانت عاصمتها مأرب، التي اشتهرت بسد مأرب، أحد أعظم منجزات العرب القدماء في مجال تنظيم الري والزراعة.

ارتبطت سبأ بأسطورة ملكة سبأ أو "بلقيس"، التي ارتبط اسمها بزيارة النبي سليمان، مما منح المملكة شهرة أدبية ودينية في التراث العربي والإسلامي⁹.

ب - النظام السياسي والمؤسسات

حكم ملوك سبأ بلقب "مكرب"، ثم "ملك سبأ"، وكان الحكم يجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية. وكان هناك نوع من التوازن بين سلطة الملك ومجلس الوجهاء أو "المسود"، الذي يمثل القبائل الكبرى والعائلات المؤثرة. وقد ساعد هذا التوازن على استقرار المملكة لعدة قرون.

كما عُرفت سبأ بنظام بيروقراطي متطور، حيث وُجدت سجلات مكتوبة ونقوش إدارية

تعكس وجود تنظيم دقيق للجند والضرائب وتوزيع الأراضي¹⁰.

ج - التوسع والسيطرة الإقليمية

في فترات القوة، نجحت سبأ في السيطرة على ممالك أخرى كمعين وقتبان، وفرضت نوعاً من الهيمنة الإقليمية عبر التحالفات أو الحروب. كما امتدت سلطتها أحياناً إلى حضرموت، وارتبطت بعلاقات تجارية نشطة مع الهند والحبشة ومصر. وكانت سبأ مركزاً لتصدير اللبان والعطور والذهب، مما منحها مكانة دولية مرموقة¹¹.

4 - مملكة حمير

أ - التكوين والتوسع

ظهرت مملكة حمير في القرن الثاني قبل الميلاد، حوالي 115 ق.م على أنقاض ممالك الجنوب، وتمكنت في أواخر القرن الثالث الميلادي من توحيد جنوب الجزيرة تحت سلطة واحدة. واتخذت من "ظفار" عاصمة سياسية، ثم انتقلت لاحقاً إلى ريدان.

وقد عُرفت حمير بالنهج التوسعي، واستطاعت ضم سبأ وحضرموت وقتبان، ما

جعلها الدولة الأقوى في جنوب الجزيرة، بل في كامل الجزيرة العربية قبل الإسلام¹².

ب - البنية السياسية

كان الحكم ملكياً مطلقاً، وأخذ ملوك حمير ألقاباً مهيبية مثل "ملك سبأ وذي ريدان

ويمنت وحضرموت". ودمجوا بين السلطة الدنيوية والدينية، خصوصاً بعد تبني اليهودية

في أواخر تاريخ المملكة، ما جعلهم يخوضون صراعات دينية حادة مع مملكة أكسوم

الحبشية المسيحية.

اعتمدت الدولة الحميرية على جهاز مركزي قوي، مع ولاية محليين، وجيش نظامي، ومراقبة مشددة للضرائب والموارد¹³.

ج - الانهيار ونهاية الدولة

دخلت حمير في صراع حاد مع الحبشة التي غزت اليمن في القرن السادس الميلادي بقيادة "أبرهة"، الذي حاول غزو مكة لاحقًا. وقد أدى هذا التدخل الأجنبي إلى إضعاف الدولة، ومهد لتدخل الفرس، ثم وصول الإسلام بعد عقود قليلة، لينهي كل مظاهر الممالك القديمة¹⁴.

هكذا شكلت ممالك جنوب الجزيرة نماذج متقدمة في البناء السياسي العربي قبل الإسلام. فقد جمعت بين النظم القبلية والمركزية الملكية، ونجحت في بناء دول مستقرة نسبيًا بفضل التجارة والدين والتنظيم الداخلي. كما أن التراكم السياسي والإداري الذي تحقق في هذه الدول أسهم لاحقًا في تمهيد الطريق لقيام الدولة الإسلامية على أسس أكثر وضوحًا¹⁵.

الهوامش:

- ¹ عبد العزيز صالح، تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة: دار النهضة العربية، 1992، ص 318.
- ² محمد بيومي مهران، تاريخ اليمن في العصور القديمة، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1985، ص 112.
- ³ يوسف محمد عبد الله، نقوش جنوب الجزيرة العربية القديمة، صنعاء: جامعة صنعاء، 1990، ص 79.
- ⁴ نفسه، ص 82.
- ⁵ Albert Jamme, Sabaeen and Himyaritic Inscriptions, Rome: Pontifical Biblical Institute, 1962, p 45.
- ⁶ شاكِر مصطفى، التاريخ العربي القديم، بيروت: دار طلاس، 1993، ص 201.
- ⁷ نفسه، ص 205.
- ⁸ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 120.
- ⁹ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 323.
- ¹⁰ وسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 88.
- ¹¹ شاكِر مصطفى، المرجع السابق، ص 209.
- ¹² محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 125.
- ¹³ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 327.
- ¹⁴ نفسه، ص 330.
- ¹⁵ نفسه، ص 265.

المحاضرة 15: الحضارة العربية قبل الإسلام: الحياة السياسية

في دول الشمال والوسط (تدمر - المناذرة - الغساسنة - كندة - مكة)

تمثل الحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لوحة فسيفسائية معقدة، تميزت بتنوع أشكال الحكم وتفاوت درجات الاستقرار بين أقاليمها المختلفة. وإذا كانت مناطق الجنوب، كسبأ وحمير، قد شهدت قيام دول مستقرة ومركزية بفضل الزراعة والتجارة الدولية، فإن الشمال والوسط عرفا أشكالاً مختلفة من التنظيم السياسي. فقد ظهر في الشمال ممالك عربية على أطراف الإمبراطوريات الكبرى، كالروم والفرس، مثل تدمر والمناذرة والغساسنة، بينما قامت في الوسط كيانات قبلية تطورت إلى دول شبه مستقلة مثل كندة ومكة¹.

وقد لعبت هذه الكيانات السياسية أدواراً مهمة في حفظ التوازن بين القوى الكبرى آنذاك، كما ساهمت في حماية الطرق التجارية والدينية وربط الجزيرة العربية بالعالم المتحضر المحيط بها. وتُظهر دراسة هذه الدول مدى تنوع التجربة السياسية العربية قبل الإسلام، وتكشف عن جذور العمل السياسي والدبلوماسي والعسكري في البيئة الصحراوية والحدودية².

1 - الحياة السياسية في دول الشمال

أ - مملكة تدمر

- النشأة والموقع الجغرافي

تقع تدمر في بادية الشام، وكانت نقطة التقاء القوافل بين الشرق والغرب، ما جعلها مركزاً تجارياً وسياسياً بالغ الأهمية. نشأت تدمر خلال القرن الأول ميلادي في العهد الروماني، لكنها حافظت على استقلال نسبي ضمن نظام التبعية للإمبراطورية³.

- النظام السياسي والإداري

تمتع ملوك تدمر بصلاحيات واسعة رغم خضوعهم الاسمي للرومان، وأشهرهم الملك "أذينة" 263م، الذي قاد تدمر للعب دور الوسيط بين روما والفرس. بعد وفاته، تولت الملكة "زنوبيا" الحكم 267 - 273م، التي عملت على استقلال المملكة، وأعلنت قيام دولة تدمر الكبرى التي ضمت سوريا ومصر وآسيا الصغرى لفترة وجيزة. لكنها هُزمت أمام الرومان، الذين استعادوا السيطرة وأعادوا تدمر إلى التبعية⁴.

- سمات الحكم

امتاز الحكم في تدمر بطابع ملكي أرستقراطي، ووجود مجلس محلي للنبل، مما يعكس وجود شكل من أشكال المشاركة المحدودة في الحكم. كما اعتمدت الدولة على جيش محترف وطبقة تجارية قوية⁵.

ب - مملكة المناذرة (الخميون)

- النشأة والتبعية الفارسية

نشأت مملكة المناذرة في الحيرة (جنوب العراق حالياً) في القرن الثالث الميلادي، حوالي 268م وكان ملوكها من آل لخم. اتخذوا من الحيرة عاصمة لهم، وكانوا تابعين للفرس (الساسانيين)، لكنهم تمتعوا باستقلال داخلي واسع مقابل حماية حدود فارس الغربية من غارات القبائل⁶.

- النظام السياسي

كان الملك هو الحاكم المطلق، يُلقب بـ"ملك الحيرة" أو "ملك العرب"، ويحكم باسم الفرس مع بعض الصلاحيات الإدارية والعسكرية المستقلة. وبرز من ملوكهم النعمان بن المنذر نحو 580م، الذي عرف بسياساته الثقافية والعسكرية، كما أقام علاقات أدبية مع شعراء عرب مثل النابغة الذبياني⁷.

- دورهم السياسي والعسكري

لعب المناذرة دوراً في صد الهجمات البيزنطية، وخاضوا صراعات مع الغساسنة (حلفاء الروم). كما استخدمهم الفرس في الحروب الكبرى كقوة عربية ضاربة⁸.

ج - مملكة الغساسنة

- الأصل والتحالف مع البيزنطيين

الغساسنة قبيلة عربية هاجرت من اليمن بعد انهيار سد مأرب، واستقرت في بلاد الشام حوالي القرن الثاني ميلادي، ثم أقامت مملكة بزعامة أسرة غسان، وارتبطت بالروم سياسياً ودينياً، إذ اعتنقت المسيحية المشرقية (المونوفيزية)⁹

- النظام السياسي

حكم الغساسنة كان ملكياً وراثياً، وكان الملك يُلقب بـ"ملك غسان" أو "ملك العرب في الشام". تمتعوا بحكم ذاتي في ظل بيزنطة، وتركزت سلطتهم في الجليل ودمشق والبلقاء، ومن أشهر ملوكهم الحارث بن جبلة 529 - 569م¹⁰.

- الدور الثقافي والسياسي

عرف الغساسنة بتشجيع الثقافة، وبنوا قصوراً ومراكز أدبية، كما لعبوا دوراً دفاعياً في وجه الفرس والمناذرة. وقد ساعدوا الروم في صدّ الهجمات القادمة من الشرق الصحراوي، وكانوا خط الدفاع الأول عن حدود الشام¹¹.

2 - الحياة السياسية في دول الوسط

أ - مملكة كندة

- النشأة والموقع

نشأت مملكة كندة في وسط الجزيرة العربية، خاصة في منطقة نجد، وكانت قبيلة كندة تسكن المناطق الجبلية وتسيطر على عدد من القبائل الأخرى. وقد ظهرت هذه الدولة في القرن الخامس الميلادي حوالي 480م¹².

- طبيعة الحكم

كان الحكم في كندة ملكيًا قبليًا، حيث تقلد أفراد من أسرة واحدة منصب الملك، لكنهم واجهوا صعوبات في فرض سيطرتهم على القبائل المستقلة التي كانت ترفض الحكم المركزي. وقد أدى هذا إلى تفكك الدولة سريعًا¹³.

- الأثر السياسي

رغم قصر عمرها، تعد كندة أول محاولة فعلية لقيام دولة مركزية في وسط الجزيرة العربية. وقد مثلت نموذجًا انتقاليًا بين النظام القبلي المتفكك والنظام الملكي المركزي، لكنها انهارت بفعل الانقسامات القبلية والنزاعات مع القوى المجاورة¹⁴.

ب - مكة وقريش

- مكة كمركز ديني وتجاري

لم تكن مكة مملكة بالمعنى التقليدي، لكنها مثّلت نموذجًا فريدًا لكيان سياسي قائم على السلطة القبلية المشتركة منذ القرن الخامس ميلادي. وقد كانت قريش تتولى شؤون مكة، خاصة بعد سيطرتها على الكعبة والمؤسسات الدينية، فجمعت بين التجارة والدين¹⁵.

- التنظيم السياسي

اتسم النظام السياسي في مكة بالقيادة الجماعية، إذ تولت الأسر القرشية الكبرى إدارة شؤون المدينة من خلال مجلس "دار الندوة"، الذي كان يجمع وجهاء قريش لمناقشة القضايا العامة، مثل الحرب والسلم والعلاقات الخارجية.

وكان لكل أسرة أو بطن وظيفة محددة، مثل السقاية والرفادة والحجابة واللواء، ما خلق توازنًا داخليًا قائمًا على توزيع المنافع والمهام¹⁶.

- الدور الإقليمي

استفادت مكة من موقعها الاستراتيجي وكونها محطة رئيسية على طريق القوافل، فنسجت علاقات تجارية واسعة مع اليمن والشام والحبشة. كما حافظت على حياد نسبي في صراعات القوى الكبرى، ما منحها الاستقرار الذي مكّنها من لعب دور محوري في الجزيرة قبل الإسلام¹⁷.

أن دراسة الحياة السياسية لدول الشمال والوسط في الجزيرة العربية قبل الإسلام تكشف عن تعدد الأشكال السياسية بين الممالك التابعة للإمبراطوريات الكبرى (كالمناذرة والغساسنة)، والممالك المستقلة (كندة وتدمر)، والنظم القبلية ذات الطابع التوافقي (مكة). وقد ساهمت هذه الكيانات في إدخال العرب في توازنات القوى الدولية، وعززت من الحضور العربي في السياقات الثقافية والدبلوماسية والدينية الكبرى، ومهدت الأرضية السياسية التي سيظهر فيها الإسلام لاحقاً كقوة موحدة للجزيرة بعد قرون من التمزق السياسي والقبلي¹⁸.

الهوامش:

- ¹ جار الله عبد العزيز صال، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية، 2010، ص23.
- ² نفسه، ص24.
- ³ عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص101.
- ⁴ نفسه، ص 103.
- ⁵ جار الله عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص40.
- ⁶ بإشراف محمد عبد القادر، ممالك اليمن القديمة، جدة: دار الشروق، 2005، ص118.
- ⁷ نفسه، ص 122.
- ⁸ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص107.
- ⁹ الحداد محمد يحيى، تاريخ اليمن القديم، دمشق: دار الفكر، 1984، ص167.
- ¹⁰ جار الله عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص73.
- ¹¹ نفسه، ص 75.
- ¹² الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوخ، صنعاء: مكتبة الإرشاد، 1987، ص112.
- ¹³ نفسه، ص114.
- ¹⁴ الحداد محمد يحيى، المرجع السابق، ص192.
- ¹⁵ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص118.
- ¹⁶ الهمداني، المرجع السابق، ص129.
- ¹⁷ جار الله عبد العزيز، المرجع السابق، ص83.
- ¹⁸ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص130.

تم التوصل إلى نتائج واستنتاجات تُثري فهمنا لتاريخ البشرية وتطور الحضارات، وأهمية دراسة الحضارات القديمة لفهم أصول المجتمعات الإنسانية وتطوراتها. نوجزها فيما يلي:

✓ يتبين أن الحضارة ليست مجرد تراكم مادي، بل نتاج تفاعل الإنسان مع محيطه، بما يشمل النظم السياسية والدينية والاقتصادية والمعرفية. وهي تعبير عن الهوية التاريخية والمشروع الإنساني في الزمان والمكان.

✓ ساهمت البيئة الجغرافية والموارد الطبيعية في تشكيل الحضارات الأولى، وكانت الأنهار الكبرى (النيل، دجلة، الفرات، السند) محاور لنشوء المجتمعات الزراعية المستقرة، ما يفسر التمرکز المبكر للحضارات في هذه البقاع.

✓ تُظهر مناطق غرب وجنوب آسيا ومصر دوراً محورياً في الريادة الحضارية العالمية، إذ شكلت نقطة انطلاق لأسس الحكم والكتابة والدين، وكانت مهداً للتفاعلات التجارية والثقافية القديمة.

✓ لعبت الابتكارات الأولى كالنار، الزراعة، وتدجين الحيوان، دوراً حاسماً في الانتقال من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المنظمة، مما شكّل حجر الأساس لكل تطور حضاري لاحق.

✓ توضح لنا دراسة الآثار والنقوش والوثائق الأدبية أن فهم الحضارات القديمة لا يكتمل إلا بتكامل المصادر، مما يفرض منهجاً نقدياً متعدد الأدوات في البحث التاريخي.

✓ تعكس حضارة بلاد الرافدين تعاقب عدة دول وإمبراطوريات، ما يدل على حيوية سياسية وثقافية، إضافة إلى ابتكارها للكتابة والتشريع، مما يجعلها من أقدم النماذج الحضارية المؤسسة.

✓ أظهرت حضارة في بلاد الرافدين مستوى راقياً من التنظيم السياسي والديني والاقتصادي، وتميزت بوجود مؤسسات مركزية وطبقات اجتماعية واضحة، إضافة إلى إنجازات معمارية وفكرية متقدمة.

✓ تكشف التجريتان الفارسية والعلامية عن قدرة إيران القديمة على تكوين أنظمة سياسية كبرى ذات امتدادات إمبراطورية، كما أسهمت في بلورة مفاهيم الإدارة المركزية والتسامح الديني.

✓ لعبت شعوب سوريا القديمة دوراً وسطياً بين الحضارات الكبرى في الرافدين ومصر، وأسهمت في التبادل الحضاري، كما أظهرت مرونة سياسية وثقافية مكنتها من البقاء رغم الغزوات.

✓ تؤكد هذه المرحلة أهمية البُعد العسكري والسياسي في تاريخ الحضارات، حيث أثر الصراع بين الفرس والمصريين على إعادة رسم خرائط السيطرة في الشرق الأدنى القديم.

✓ كشفت النزاع الفارسي-الإغريقي وحروب البيلوبونيز عن البنية السياسية والعسكرية لحضارات البحر المتوسط، وأبرز كيف أن الحرب شكلت رافداً في تطور الفكر السياسي والهوية الثقافية لكل من الفرس والإغريق.

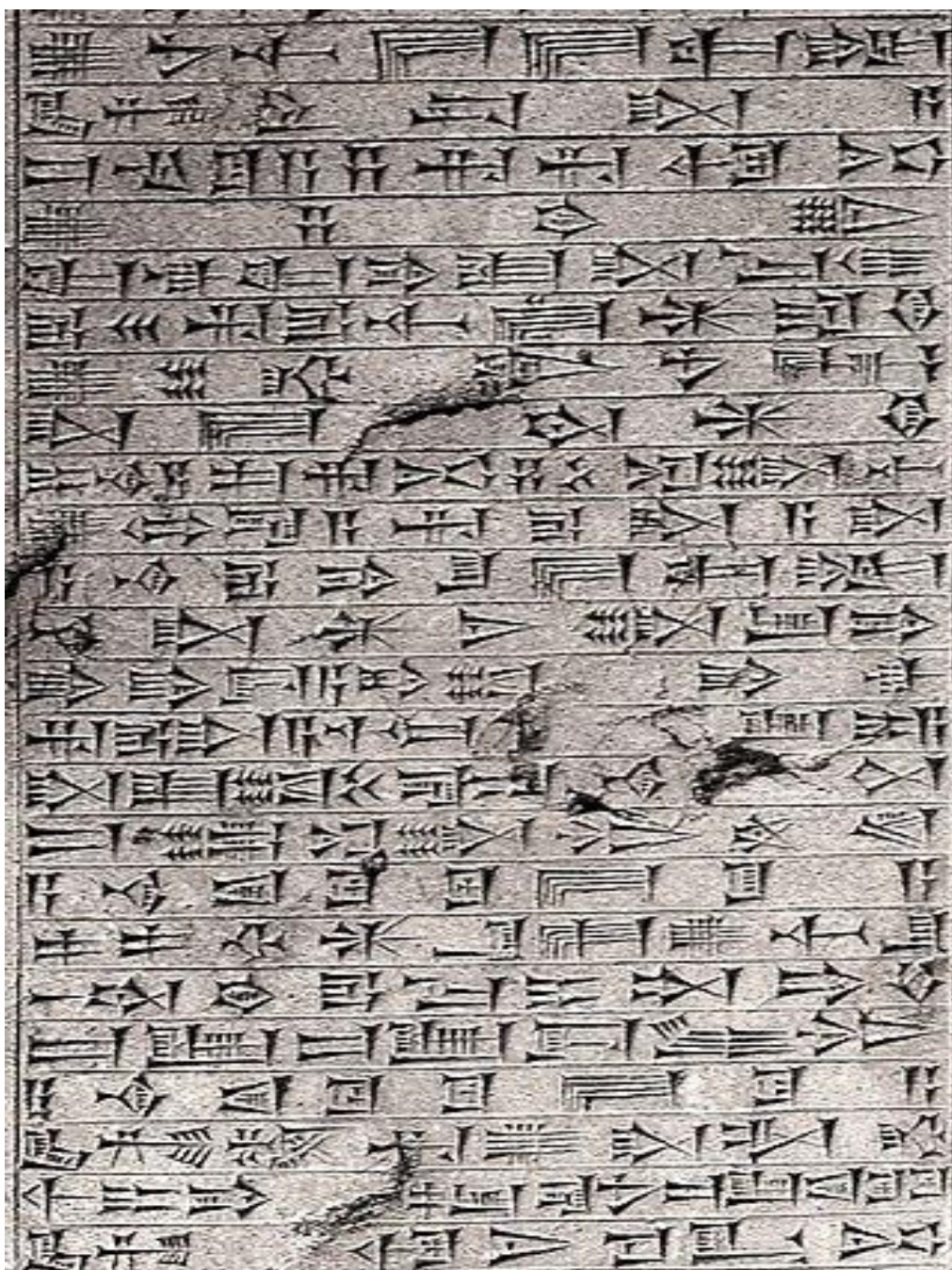
✓ تبرز الحضارة المصرية كنموذج للاستمرارية السياسية والدينية، إذ جمعت بين الملكية الإلهية والتنظيم الإداري الصارم، ما ساعدها على البقاء لقرون طويلة رغم التحديات.

✓ ساهم تكامل المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في ترسيخ سلطة الفراعنة، حيث لعب الدين دوراً محورياً في تثبيت الحكم وضمان وحدة المجتمع.

✓ أظهرت ممالك اليمن القديم قدرة العرب على بناء دول مستقرة ذات نظم مركزية واقتصادات متقدمة، خاصة في الزراعة والتجارة، ما يؤكد أن البيئة العربية لم تكن خالية من الحضارة قبل الإسلام.

✓ بينت الكيانات السياسية العربية في الشمال والوسط (تدمر، المناذرة، الغساسنة، كندة، مكة) تفاعل العرب مع القوى الكبرى، وإسهامهم في التوازن الإقليمي، مما مهد لظهور الإسلام كقوة توحيدية.

الملحق 01: الكتابة المسمارية

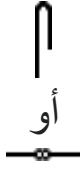


الملحق 02: الكتابة الهيروغليفية



الملحق 03: الرموز الهيروغليفية

هير غليفيات			
تعليق	لفظ	نسخ	الرمز الهيروغليفي
ألف	ا	A	
ياء	ي	i	
ياء مضاعف	ي	y	 أو 
عين	ع	ʿ	
واو	و	w	 أو 
باء	ب	b	
	پ	p	
فاء	ف	f	
ميم	م	m	
نون	ن	n	
راء	ر	r	
هاء	هـ	h	
حاء	ح	ḥ	
خاء	خ	ḫ	

	h	خ	حاء
	s	س	سين
	š	ش	شين
	Q	ق	قاف
	k	ك	كاف
	g	ك (ج) مصرية	
	t	ت	تاء
	t	تش	
	d	د	دال
	d	ج	

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004.
2. أحمد أمين سليم، تاريخ حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت: دار النهضة العربية، 1996.
3. أحمد سليم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2000.
4. أحمد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1989.
5. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1989.
6. أحمد فخري، مصر والشرق الأدنى القديم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1974.
7. إدوارد تايلور، الثقافة البدائية، ترجمة عبد الرحمن عيسوي، دار المعارف، القاهرة، 1990.
8. إيان شو، تاريخ أكسفورد لمصر القديمة، ترجمة ممدوح الرفاعي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2017).
9. بإسرا حيل محمد عبد القادر، ممالك اليمن القديمة، جدة: دار الشروق، 2005.
10. بدر نبيل ملحم، تاريخ الحضارات القديمة، الإصدار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2015.
11. بيير روسي، تاريخ سوريا القديم، ترجمة يوسف نجم، بيروت: دار الطليعة، 1997.
12. توبي ويلكينسون، صعود الفراعنة وسقوطهم، ترجمة أحمد زكي أحمد (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2021).

13. توينبي، آرنولد، دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
14. جار اللهن عبد العزيز صال، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية، 2010.
15. جان بوتيرو. بلاد الرافدين: الكتابة، العقل، والآلهة. ترجمة وتقديم: عامر رشيد. دار المأمون، 2002.
16. جورج رو. العراق القديم: تاريخ حضارات ما بين النهرين. ترجمة: عبد الرزاق عبد الواحد. دار الشؤون الثقافية العامة، 2005.
17. جورج مرعي حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1951.
18. الحداد محمد يحيى، تاريخ اليمن القديم، دمشق: دار الفكر، 1984.
19. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الحضارة المصرية القديمة، القاهرة: دار الفكر العربي، 2005.
20. حسن الظاهر، تاريخ فارس القديم، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992.
21. حسن ظاظا، تاريخ الحضارات القديمة، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992.
22. حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، دار الرشاد، بيروت، 1981.
23. خزل الماجدي، الموسوعة التاريخية لبلاد الشام القديمة، بيروت: دار الرافدين، 2019.
24. روزالي ديفيد، دليل الحياة في مصر القديمة، نيويورك: فاكس أون فايل، 1998.
25. سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
26. سلمان خاطر، تاريخ الحضارات القديمة، بيروت: دار الفكر العربي، 2003.

27. سمير العيداني، المصادر المادية والأدبية لدراسة التاريخ العربي القديم، جامعة محمد بوضياف - المسيلة، قسم التاريخ، 2020.
28. سيرج بيكوريل .سرجون الأكدي: أول إمبراطورية في التاريخ .ترجمة: خالد غسان. منشورات الجمل، 2015.
29. شاكراً مصطفى، التاريخ العربي القديم، بيروت: دار طلاس، 1993.
30. صامويل نوح كريم .مهد الحضارة: سومر .ترجمة وتقديم: حسني زينة. دار نلسن، 2017.
31. صامويل نوح كريم، من ألواح سومر: أولى الحضارات في التاريخ، ترجمة فيصل الوائلي، بيروت: دار المدى، 1997.
32. صبحي أنور رشيد، حضارة وادي الرافدين، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2001.
33. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الحرية، 1973.
34. عبد الحليم عويس، في التاريخ والحضارة: دراسات ونصوص، القاهرة: دار الصحوة، 2005 .
35. عبد الحميد زايد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2000.
36. عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
37. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، القاهرة: دار المعارف، 1994.
38. عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.

39. عبد العزيز صالح، تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة: دار النهضة العربية، 1992.
40. عبد العزيز صالح، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1996.
41. عبد الله العسكر، حضارات الشرق الأدنى القديم، الرياض: دار العلوم، 2002.
42. علي الوردي، حضارة بلاد الرافدين، بغداد: دار العلم للملايين، 1981.
43. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد: مطبعة الإرشاد، 1965.
44. فوزي رشيد، القانون في حضارة وادي الرافدين، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1985.
45. كاثرين أ. بارد، مقدمة في آثار مصر القديمة (مالدن: بلاكويل للنشر، 2008).
46. كمال الصليبي، تاريخ المشرق العربي القديم، بيروت: دار النهار، 1996.
47. كيرتس فورد، الإمبراطورية الفارسية، ترجمة أحمد خليل، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1991.
48. لويس عوض، دراسات في الحضارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001.
49. مارك فان دي ميروب، تاريخ الشرق الأدنى القديم: حوالي 3000-323 قبل الميلاد. بلاكويل بابليشينج، 2007.
50. محمد أسعد طلس، مبادئ الحضارة وتاريخها العام، بيروت: دار الفكر، 1981.
51. محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، القاهرة: عين للدراسات، 1998.
52. محمد بيومي مهران، تاريخ اليمن في العصور القديمة، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1985.
53. محمد بيومي مهران، تاريخ إيران القديم، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1988.

54. محمود خالد الزيني، مدخل إلى علم الآثار والحضارات القديمة، القاهرة: دار المعارف، 1998.
55. محمد بيومي مهران، حضارة الشرق الأدنى القديم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000.
56. محمد جمال طحان، تاريخ اليونان القديم، دمشق: دار دمشق، 2004.
57. محمد فتحي الشنيطي، مصادر دراسة الحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة وهبة، 2005.
58. نيكولا غريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011).
59. هاري ساجز. عظمة بابل: تاريخ الحضارة البابلية والآشورية. ترجمة: محمد الفاضل. دار المدى للثقافة والنشر، 2008.
60. الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، صنعاء: مكتبة الإرشاد، 1987.
61. يوسف حسين، تاريخ أوروبا في العصور القديمة، بيروت: دار النهضة العربية، 1996.
62. يوسف محمد عبد الله، نقوش جنوب الجزيرة العربية القديمة، صنعاء: جامعة صنعاء، 1990.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Albert Jamme, Sabaeen and Himyaritic Inscriptions, Rome: Pontifical Biblical Institute, 1962.
2. Colin Renfrew & Paul Bahn. Archaeology: Theories, Methods and Practice, 7th Edition, Thames & Hudson, London, 2016.
3. James H. Breasted, Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, Harper, 1912.
4. James Henry Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. 2, University of Chicago Press, 1906.
5. Rolly Stewart, The Origins of Writing, HarperCollins, 1998.
6. Toby Wilkinson (ed.), The Egyptian World, Routledge, 2007.
7. Toby Wilkinson, The Rise and Fall of Ancient Egypt, Random House, 2010.
8. Breisach, E. Historiography: Ancient, Medieval, and Modern (3rd ed.). University of Chicago Press, 2007

الصفحة	المحتوى
03 - 02	المقدمة
10 - 04	مفهوم الحضارة
15 - 11	الإطار الزماني والمكاني لظهور الحضارات
21 - 16	حضارات غرب وجنوب آسيا ومصر
28 - 22	فجر التاريخ والاختراعات السابقة للحضارة
36 - 29	المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارة
43 - 37	حضارة بلاد الرافدين - المراحل الكبرى
47 - 44	مظاهر الحضارة في بلاد الرافدين (الدين - نظام الحكم - الاقتصاد)
53 - 48	حضارة فارس وعيلام
59 - 54	حضارة سوريا القديمة: الحثيون وشعوب سوريا - المظهر السياسي - المظهر الديني - الحياة الاقتصادية
65 - 60	التوسع والمواجهة في جنوب غرب آسيا - الحروب الميدية والنزاع الفارسي-المصري
72 - 66	النزاع الفارسي-الإغريقي وحروب البيلوبونيز
81 - 78	حضارة مصر الفرعونية: النشأة - التطور - الانهيار
87 - 82	الحضارة المصرية القديمة - نظام الحكم - الدين والكهنوت - الجيش - الاقتصاد في مصر الفرعونية
94 - 88	الحضارة العربية قبل الإسلام: الحياة السياسية لدول الجنوب (معين - قتبان - سبأ - حمير)
102 - 95	الحضارة العربية قبل الإسلام: الحياة السياسية في دول الشمال والوسط (تدمر - المناذرة - الغساسنة - كندة - مكة)
105 - 103	الخاتمة
109 - 106	الملاحق
115 - 110	قائمة المصادر والمراجع
116	الفهرس